كي لا ننسى

ثورة الزوية السورية المنسية

١٩٢٠ - ١٩٢٧

(آل الشرع-آل السلامات-النعيم)



إعداد وتأليف
د.حسين علي الشرع

<u>كي لا ننسى</u>..

ثورة الزوية السورية (المنسية) 1920 – 1927

(آل الشرع – آل السلامات – آل الطحان)

إعداد وتأليف

د. حسين علي الشرع

2020

الإهداء..

إلى أرواح ثوار الزوية وكل الشهداء:

1_ الشيخ طالب عبد المجيد آل الشرع (قائد الثورة).

2_ المجاهد: قاسم عبد الرحمن الشرع. — **قرية جيبين**

3_ المجاهد: محمد الخالد الشرع.

4_ الشيخ عكاش السالم -شيخ السلامات- (قرية العال).

5_ الشيخ عبد الكريم الطحان، وأخوه محمود الطحان (الجوخدار) قبيلة النعيم.

وجميع من شارك في هذه الثورة وتشرد بسببها لسبع سنوات في الأردن.

محتويات البحث:

1) قائمة بالأشخاص الذين قادوا الثورة في الزوية (1920 - 1927).

2) مخطط تقريبي (خارطة منطقة) القائمقامية للزوية في (فيق) كانت تابعة لمحافظة حوران آنذاك، وأسماء القرى، وحدود هذه المنطقة وموقعها الجغرافي.

3) أسماء القرى والسكان والعائلات قبل النزوح في 10 حزيران 1967.

الأشخاص المشاركين في ثورة الزوية ضد الاستعمار الفرنسي (1920 – 1927):

أولاً: من قرية جيبين:

1_ (الشيخ طالب عبد المجيد الشرع).

2_ (الشيخ قاسم بن عبد الرحمن الشرع).

3_ (الشيخ محمد بن خالد الشرع).

4_ (الشيخ هلال السويدان الشرع).

5_ (الشيخ أحمد الحسين الشرع).

6_ (الشيخ خليل عبد الوالي الشرع).

7_ (الشيخ حسين الأحمد الشرع).

8_ (بديوي السويدان الشرع).

9_ (صالح بن عبد الغني الشرع).

10_ (عبد المجيد بن طالب الشرع).

11_ (الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشرع).

12_ (محمد آل عامر).

13_ (علي الحوري).

ثانيـًا: من قرية العال:

1_ (الشيخ عكاش السالم السلامات).

2_ (الشيخ عفاش السالم السلامات).

3_ (الشيخ جبر الخالد السلامات).

4_ (الشيخ عبد الله الترور).

5_ (الشيخ العبد الحجي الحشيش السلامات).

ثالثـًا: من الجوخدار:

6_ (الشيخ عبد الكريم الطحان من قبيلة النعيم).

7_ (الشيخ محمود الطحان من قبيلة النعيم).

8_ (وآخرين من عشيرة النعيم الهاشمية).

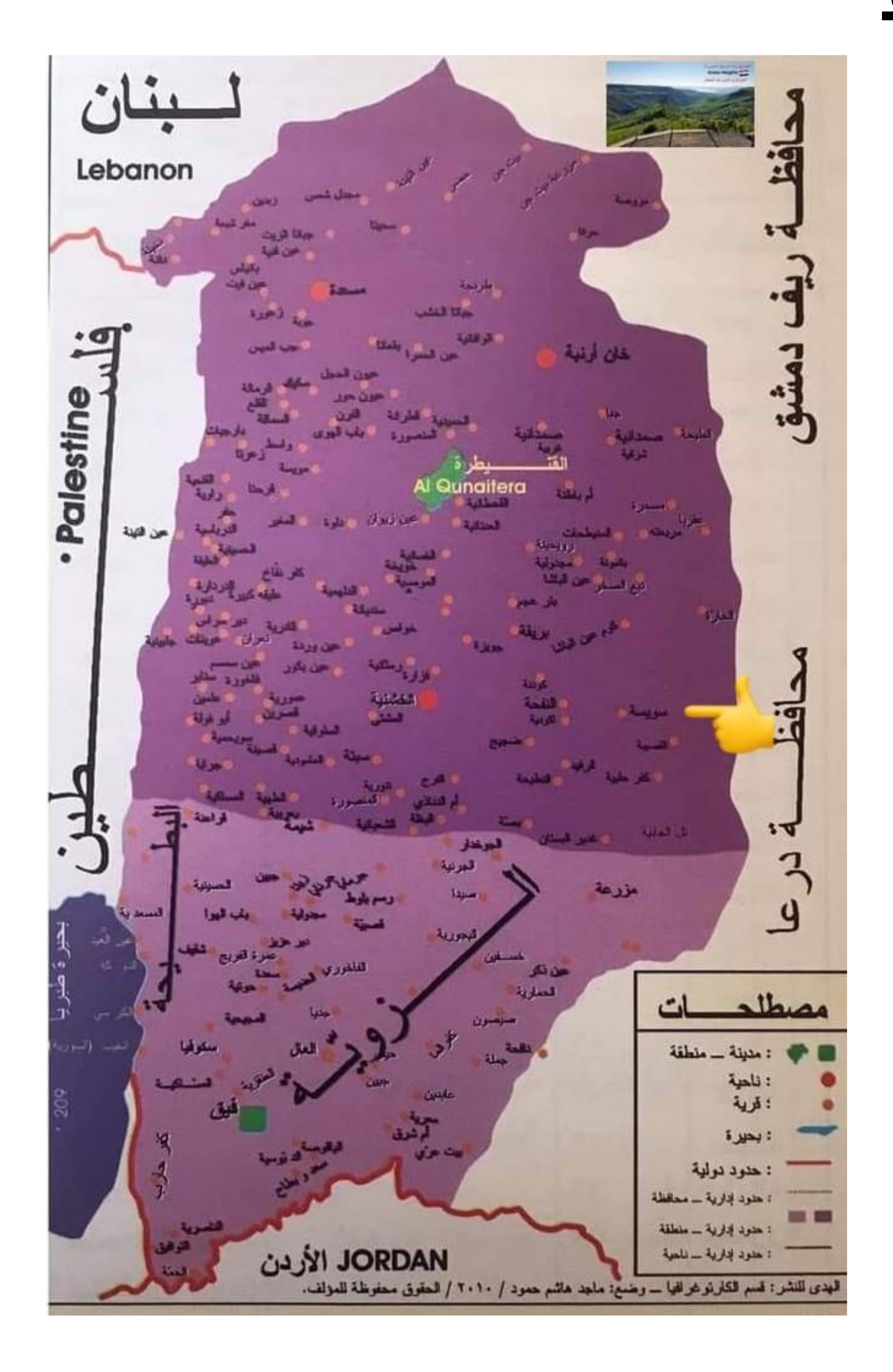
رابعـًا: من الشجرة:

1_ (الشيخ محمد أبو كف المذيب).

2_ (الشيخ عبد الكريم الجاعوني). وآخرين..

خامسـًا: من عابدين: (الشيخ محمد أبو مشيلح وإخوانه).

٢-


لبنان
Lebanon
فلسطين
Palestine
محافظة ريف دمشق
القنيطرة
Al Qunaitera
خان أرنبة
مسعدة
محافظة درعا
الأردن JORDAN
مصطلحات
: مدينة ـ منطقة
: ناحية
: قرية
: بحيرة
: حدود دولية
: حدود إدارية ـ محافظة
: حدود إدارية ـ منطقة
: حدود إدارية ـ ناحية
الهدى للنشر: قسم الكارتوغرافيا ـ وضع: ماجد هاشم حمود / ٢٠١٠ / الحقوق محفوظة للمؤلف.

ديموغرافية الزوية:

السكان قبل النزوح في 10 حزيران 1967 (العائلات):

1_ الجوخدار: يسكنها جزء من قبيلة النعيم، ويرأسها (عبد الكريم الطحان، ومحمود الطحان).

2_ قرية خسفين: (الفشتكي، والحروب، والغياضين، وعائلات مسيحية).

3_ قرية ناب: موطن الدنداشة (وهي مملوكة بأكملها لآل الحسين من الجحيشان) كفر الما.

4_ العال: قبيلة السلامات، ويرأسها عكاش السالم وأقاربه من آل الحجي (الحشيش)، والهوادي، والطحاوي حجارية، والرفاعية، والسكافنة، والتر، وآل الفراج، وآل شراره، وآخرين.

5_ فيق: وكان يسكنها سابقاً آل الشرع، ولهم فيها بيوت تسمى بيوت الشرع، وزيتون في وادي مسعود التابع لفيق. أما سكانها قبل النزوح: قبيلة الحجايرة ويرأسها آل شهاب الحمد، والمحمود، الصبابحية والذيابات، ويرأسها بيت المقبل، والنهار والحرافشة وآخرين.

6_ قرية جيبين: ويسكنها (آل الشرع، وآل أبو شومر، وآل الخياط، وآل الفيش، وآل كيوان، وآل الحوري، وآل النواصرة، وآل أبو عامر، والعقروباي، والدنادشه، وآل المرسال، والرقيبات)، وكانت تسمى سابقـًا عاصمة القرار؛ لأهمية آل الشرع فيها.

7_ قرية حيتل: ويسكنها آل العاتقي (محي الدين، وخنيفس، وعويضه، والعواضي، والباير، وآخرون، والقراعطة).

8_ قرية الياقوصة: ويسكنها جزء من الحرافشة.

9_ قرية دبوسيا: ويسكنها آل السالم، وهم جزء من عشيرة الذيابات.

10_ قرية صفوريا: ويسكنها عائلة الفقير، وآل البلها من الكليبات والحريري.

11_ قرية سكوفيا: ويسكنها الجزء الأكبر من آل حرفوش، وعائلة الرحال.

12_ قرية النقيب: ويسكنها آل الرقيبات وآل العلي، ويمتّون بصلة قرابة لآل الشرع في جيبين.

13_ قرية جديه (قاطع وادي دفيله): ويسكنها آل العقرباوي، آل الصالح (صالح الحسين).

14_ قرية مجدوليا: ويسكنها (العفادله): وهم من النعيم، والفشتكي.

15_ عمرة الفريج: ويسكنها آل الفريج (صالح العلي، وأحمد العلي، وحسين العلي، وحافظ العلي) وهم تقريبـًا مالِكو وادي السمك.

16_ الدير عزيز: ويسكنها آل الصبيح وغيرهم: وهم من عشيرة الذياب.

17_ خوخة وزيتا: ويسكنها جزء من آل الذياب وآل السمكي.

18_ قرية عديسة: ويسكنها آل المجايدة: وهم على صلة قرابة مع الرقيبات وآل الشرع.

19_ قرية الشكوم: ويسكنها آل الشقيرات، وآل الطلاع من الرقيبات.

20_ أما سكان ناحية البطيحة: فتسكنها عدة عائلات، وهذه المنطقة كانت إقطاعية لآل اليوسف والقره شولي: وهم أكراد يعيشون في دمشق، وقد تم توزيع الأراضي على الفلاحين في عهد الوحدة السورية – المصرية 1958 – 1961، ومن أهم العائلات فيها (آل حمود الطبل، وآل الخطيب، وآل أبو نبوت).

21_ شقيف: يسكنها آل الذياب، وإخوان سارة.

22_ قرية ساعد وبطاح: (بني كنانة) ويطلق عليهم الكنانية: وهم امتداد لعائلات بني كنانة في الأردن، ويسكنها آل الهنداوي.

23_ قرية أبو خيط: كان سكانها جزء من قرية كفر الما، لكن لأسباب نزح هؤلاء السكان، وبنوا قرية أبو خيط: وهي لآل الذيابات وآل المطلق، وزعيمها كان (ذياب المطلق)، وكلهم أقارب وبنو أعمام.

24_ قرية بورسعيد: وتقع إلى الشمال من حيتل، وكانت جزءاً منها، ولأسباب ثأرية نزح هؤلاء (آل الهزاع والفرحان) وبنو قرية سموها بورسعيد في العام 1959، وقد سكن معهم آل كليب (محسن الكليب وأولاده وأقاربه).

وتوجد قرى أخرى صغيرة. وللعلم فإن قرى الزوية تلك يرتبطون مع بعضهم البعض بصلات قربى ونسب ومصاهرة. وكان الحكماء بينهم يلجأون لحل المشاكل الناتجة عن حدود الأراضي وخلافه بالطرق العشائرية.

25_ قرية كفر حارب: وهي قرية كبيرة، وتقع إلى الجنوب الغربي من فيق والسراحين، وتطل على بحيرة طبريا، وهي مرتفعة عن سطح البحر، وأمامها تقع طبريا ووادي الحمام الفلسطيني. يسكن في هذه القرية عشيرة الفواعرة، وشيخهم شمدين الفاعوري، ثم انتقلت في بداية عهد البعث إلى حسن الفاعوري، وعائلة آل جبر الخالدي، وعائلة أبو سويد النهار، والسراجين، والملكاوي، والسوادي، والعربي الذياب.

26_ مزرعة عز الدين: وهي إلى الشمال من كفر حارب لصاحبها الشركسي (عز الدين)، ويعيش فيها آل طويق.

27_ قرية عيون: تقع إلى الشمال من كفر حارب، وعلى مرتفع من الحمه السورية، ويسكنها قسم من عشيرة الموالي السورية والفلسطينية، وآل الكناني وآخرين.

28_ قرية التوافيق: وتقع إلى الغرب من قرية عيون، وهي قرية صغيرة لكنها تطل على البحيرات الصغيرة التي أقامها العدو، جنوب بحيرة طبريا، وقطعة أرض صغيرة، كثيراً ما يحاول العدو حرثها، لكن كانت القوات من الحرس الوطني

السوري كثيراً ما تتصدى لها، ولا سيَّما في عهد الوحدة السورية – المصرية 1959 (معركة التوافيق المشهورة)، وفيها يسكن بعض العائلات الفلسطينية والسورية.

29_ قرية الشعبانيه: يسكن فيها من النعيم وآخرين...

30_ قرية صيدا: يسكن فيها من النعيم وآخرين...

31_ قرية البطمية: ويسكنها من عشيرة النعيم.

4 توطئة للبحث:

أن تكتب عن حدث مهم كان قبل أكثر من مائة عام، وهو موضوع بحثنا هذا عن ثورة الزوية ضد الاستعمار الفرنسي الذي أطاح بالمملكة العربية السورية. فيها الكثير من الشجون والحزن؛ نظراً لما تم الاتفاق عليه بموجب اتفاقية "سايكس بيكو 1916"، وتنفيذاً لاتفاقية "سان ريمو 1918" التي قسَّمت سوريا الطبيعية: والمقصود هنا بلاد الشام، وقيام المملكة العربية السورية في 8 آذار 1920 (الاستقلال)، والتي كانت تضم: سوريا الحالية، ولبنان، وشرق الأردن، وفلسطين، وجزءاً من العراق. وكان في تشكيلة حكومتها الأولى والمجلس الوطني ممثلين /69/ عضواً عن هذه المناطق. وجاء (غورو) بجيشٍ فرنسيٍّ مدجَّجٍ؛ ليحتل (دمشق) عاصمة الدولة ويقصي الملك، ويخلع الحكومة. وقد تصدَّى له وزير دفاع المملكة آنذاك (يوسف العظمة) ومعه أعداد من الجيش العربي في معركة "ميسلون" التي كانت غير متكافئة، ولكن لها معنى بل معانٍ: إذ أصرَّ البطل يوسف العظمة أنَّ دخول قوات (هنري غورو) لن تكون بدون مقاومة، وهذا ما كان.

فهذا حدث يكتب عنه؛ لأهميته، لأنَّ: المناطق السورية شعرت بالإهانة لدخول المحتل الفرنسي وتقسيم سوريا الطبيعية إلى دول، بل تقسيم سوريا إلى خمس دول صغيرة وإثنية وطائفية. فتحركت المناطق تحاول التصدي لهذا المحتل: فكانت "ثورة الزوية" بقيادة طالب الشرع وأبناء عمومته، وعكاش السالم وأقاربه،

والطحان، والانطلاق من مضافة الشيخ طالب الشرع ضد الوجود الفرنسي في عاصمة المنطقة (فيق)، وحدث ما حدث. ولكنَّ المناطق السورية الأخرى ثارت، والكتابة عنها يعطينا معنى: أنَّ الشعوب لا تتوانى عن تحمل مسؤولياتها تجاه أوطانها، وهذه الثورات عمَّت جميع المناطق السورية.

ومن خلال هذا البحث تجدون أن ثورة إبراهيم هنانو انطلقت من (كفر تخاريم) باتجاه الحامية الفرنسية في حارم. وكذلك ثورة محمد العيَّاش في دير الزور انطلقت من ريف دير الزور، وثورة الغوطة انطلقت من حراس البساتين في الغوطة، ودعمها الدكتور عبد الرحمن الشهبندر بتجنيد شباب من حي الشاغور، وسميت الثورة الشواغرية. وثورة حوران انطلقت من درعا وقُراها بقيادة المجاهد (مصطفى الخليلي)، وشاركت في معارك غباغب والمسيفرة. وكذا الأمر ثورة الشيخ صالح العلي انطلقت من قريته (الشيخ بدر) من ريف طرطوس -قبل أن تكون محافظة-. وثورة حماة بقيادة فوزي القاوقجي وهو ابن طرابلس الشام: انطلقت من حماة وحمص والعشائر. وكذا الأمر الثورة في جبل العرب: انطلقت من قرية (القريا) وهي بلد سلطان باشا الأطرش. وثورة قرى القنيطرة التي قادها (أحمد مريود) والأمير فاعور: انطلقت من جباتا الخشب وواسط، وغيرها لم تصل إلينا أخبارها.

كل هذه الثورات المناطقية لا رابط بينها؛ لأن الاتصالات كانت صعبة، وحتى المواصلات، والذين قاموا بها عموماً من الريف والفلاحين، وعندما تم إعلان

الثورة السورية الكبرى وتسليم القيادة للباشا سلطان الاطرش 1925: كانت الثورات المناطقية سابقة. والثورة السورية الكبرى لم تكن كما يتوهَّم البعض: أنَّها ذات قيادة وسيطرة وعمليات مشتركة، ولكنها كانت معنوية أكثر منها ذات فعالية عسكرية منظمة. وقد جاءت بناءً لرغبة السياسيين السوريين، لا سيَّما رجال الكتلة الوطنية التي تشكلت من شخصيات سياسية من أهل المدن؛ ولذا كان عليهم دعم ومساندة هذه الثورات المناطقية.

وكانت هذه الثورات الموزعة بين (قائمقاميات) المناطق السورية: تقوم على مجهودات فردية، ووسائل قتالية بدائية، والهدف كان إشعار المحتل أن لهذه المناطق أهل وسكان يقاومون. ونجد خير مثال هنا في "ثورة الزوية" إذ كان الذراع المسلح والذي يقوم بالعمل العسكري كقيادة ثلاثة أشخاص هم: قاسم عبد الرحمن الشرع، وعفاش السالم، ومحمد الخالد الشرع، الذين كانت تطلق عليهم فرنسا "الأشقياء الثلاثة".

وقد وجد الثوار السوريون من مختلف المناطق ملجأ لهم في الأردن: حيث العشائر العربية التي استقبلتهم وساهمت بالقتال معهم، ووجود الأمير عبد الله بن الحسين -أمير شرق الأردن- الذي كان يتطلع أيضـًا لسوريا الكبرى؛ ولذلك تم تسمية الجيش عنده وحتى الآن بالجيش العربي، وهذا هو اسم جيش الثورة العربية الكبرى 1916.

وجيش المملكة العربية السورية بقيادة الملك فيصل بن الشريف حسين ملك المملكة، ويوسف العظمة وزير الدفاع والقائد العام للجيش العربي.

ولعلنا من خلال بحثنا هذا: وجدنا كيف استوعب الأردن الثوار واستضافهم لسنوات، وكيف أن العشائر العربية الأردنية ساهمت في تنظيم الغزوات التي كان يقوم بها ما سُمِّيَ (بالأشقياء الثلاثة) في منطقة الزوية وحوران، والتي أسفرت عن قتل رئيس الوزراء (علاء الدين الدروبي) في حوران بعد تسلُّمه الوزارة بشهر واحد، والهجوم على الجنرال (غورو) وإصابته في كتفه وقتل من معه، وبقي مشلولاً بيده طوال حياته.

ولكن للأسف الشديد.. لم تصل التغطية لهؤلاء المجاهدين، واكتفوا برجالات السياسة وثورة الجبل، وهذا لم يكن الواقع؛ لأن ما قدَّمه هؤلاء في جميع المناطق يجب أن يُنصف، وهؤلاء الثوار لم يرجوا مغانم أو مكاسب أو مكافأة على الواجب الذي قاموا به. ولكن وجدت من (واجبي كباحث) أن أعيد لهؤلاء بعضاً من ذكراهم؛ لعلها تكون مفيدة للأجيال العربية المسلمة المتتابعة. ونحن بصدد كل هذا العسف والاحتلالات القائمة (لا زالت حية أمامنا). تماماً لا يمكن أن نسمي ثورة درعا ويتم نسيانها، وثورة الغوطة ويتم نسيانها، وثورة الغوطة ويتم نسيانها، وثورة القلمون ويتم نسيانها، وثورة (داريا)، وجوبر، والقابون، وحمص، وحماة، وإدلب،

وجبل الزاوية، والمعرة، وحلب، وجسر الشغور، والدير، والشعيطات، والبصيرة، والشدادي، والحسكة ويتم نسيانها.

ولو أن هذه الثورات جاءت في زمن تطور الاتصالات والفضائيات، بينما حاول حافظ الأسد ما قام به في: حماة، وجسر الشغور، وحي الكلاسة، وحمص، والمذابح (1982)، ونجح في ذلك. والكثير لم يعلم بها إلا بعد قيام الثورة السورية (2011).

هذه الثورات الممتدة من 1920 إلى الوقت الحاضر: واجبنا يدفعنا للتذكير بها وتحليلها؛ لأن سوريا الحالية لم تستقر من يوم الاستقلال في 8 آذار 1920، وقيام المملكة العربية السورية، وتنصيب فيصل ملكـًا عليها، وتشكيل مجلس وطني / 69/ شخصـًا يمثل: فلسطين، والأردن، والعراق، ولبنان، وسوريا الحالية، وحكومة برئاسة السيد هاشم الأتاسي وأعضاء وزارته من هذه المناطق السورية الطبيعية. نعم.. لا بُدَّ أن نعطي لكل من ساهم بإمكانياته سواءً كانت متواضعة أو كبيرة، وللسياسيين المتنورين الذين أصروا على الاستقلال –صحيح بمساعدة بريطانيا العظمى– ولكن الأخيرة كان لها قرار بتنفيذ "وعد بلفور" في 2 تشرين الثاني 1916، وتنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتسليمها للعصابات الصهيونية (الهاغاناه وشتيرن)؛ لإقامة دولة للصهيونية في فلسطين.

خامسًا:

أولاً: (الزمان): آب 1920 بعد إقامة المملكة السورية وتنصيب الملك فيصل بن الشريف حسين ملكًا على سوريا، والاحتلال الفرنسي لسوريا، وطرد الملك فيصل في تموز 1920، وتصدي الجيش العربي بقيادة البطل يوسف العظمة لجيش (الجنرال غورو) في معركة ميسلون: حيث أبى وزير الدفاع في حكومة الملك فيصل أن يدخل الجيش الفرنسي إلى دمشق عاصمة المملكة العربية السورية بدون قتال استجابة لإنذار (غورو) الشهير للملك وحكومته. وبداية الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام ابتداءً من لبنان إلى سوريا، وتطبيق اتفاقية سايكس بيكو 1916، ومؤتمر سان ريمو 1918 بتقاسم بلاد الشام والعراق بين القوتين آنذاك (بريطانيا وفرنسا)، وتأييد عصبة الأمم بتطبيق نظام الوصاية على بلاد الشام (لبنان، فلسطين، سوريا، وشرق الأردن) لهاتين الدولتين الاستعماريتين المنتصرتين في الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918، وتفكيك الدولة العثمانية، وخضوع البلاد العربية للقوى الجديدة.

فكانت الشرارة التي اندلعت للجهاد ضد المستعمرين الجدد في بلاد الشام والعراق.

فكانت ثورة العشرين (1920) في العراق ضد الإنجليز، وثورة بلاد الشام ضد الاستعمارين البريطاني في فلسطين وضد الاستعمار الفرنسي في سوريا. وكانت أُولى بواكير هذه الثورة في جميع أرجاء بلاد الشام ابتداءً من ثورة الزعيم إبراهيم هنانو

انطلاقـاً من كفر تخاريم وحارم، إلى حلب وجبل الزاوية، وثورة الزوية بقيادة طالب عبد المجيد الشرع وأقارب آل الشرع عكاش السالم.

وللأسف الشديد: فقد سجل التاريخ بعضـاً من هذه الثورات المناطقية في الأنحاء السورية، وتجاهل الثورة الأولى وهي ثورة الزوية أو ثورة آل الشرع ومن تضامن معهم، وغيرها كما سنرى لاحقـاً، وكان ذلك مذكوراً في كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائي قبل عام 1950 عن ثورة آل الشرع. لكن تم حذفها ولم تصل إلى ذكر أي شيء عنها، وهي من الثورات المنسية بفاعل فاعل.

وإذا كنا نريد إلقاء الضوء لإنصاف هؤلاء المجاهدين؛ فإنما لنعيد الحقائق ونبرزها بشكلٍ واضحٍ، ليس تبجُّحـاً وادِّعاءً، ولكن لإنصاف أرواح هؤلاء المجاهدين الأوائل من الثورة الشامية بعد دخول الجيش الفرنسي المحتل إلى هذه البلاد في تموز 1920 بعد الإنذار الشهير لقائد الجيش الفرنسي في لبنان (هنري غورو).

(المكان): قرى الزوية الغربية والشرقية، وسميت الزوية؛ لأنها تقع في الزاوية الأخيرة من سوريا التي تطل على (وادي خالد) حيث معركة اليرموك الشهيرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والقائد الإسلامي والعربي خالد بن الوليد، ثم أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما وعلى جميع الصحابة. فهي تطل على منطقة وادي مسعود الفاصل بين فلسطين وبحيرة طبريا، وكانت آنذاك تسمى (ناحية فيق) نسبة إلى قرية (فيق) المطلة على بحيرة طبريا ومدينة طبريا، وسمخ، ووادي بيسان،

ووادي الحمام الفلسطيني، وهذا كان جزءاً من بلاد الشام والمملكة العربية السورية الفيصلية (نسبة للملك فيصل بن الحسين).

سادسًا:

الأسباب المباشرة وغير المباشرة للثورة في الزوية السورية:

في عام 1916 شارك كلٌّ من الشيخ طالب عبد المجيد الشرع وأبناء عمومته: قاسم العبد الرحمن الشرع، ومحمد الخالد الشرع، وهلال السويدان الشرع، وأحمد الحسين الشرع، وخليل عبد الوالي الشرع، وأخيه عبد العزيز الشرع، وآخرين.. في ثورة الشريف حسين بن علي –شريف مكة– للانفصال عن الدولة العثمانية؛ بقصد إقامة المملكة العربية من جبال طوروس شمالاً حتى بحر العرب وعدن جنوبًا، ومن جبال زاغروس شرقًا حتى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر. وقد كان هذا الاتفاق بين (الشريف حسين) و(مكماهون) المندوب البريطاني في القاهرة، وتشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك، ووعد من دول الحلفاء (بريطانيا العظمى وفرنسا) للشريف: فاتصل الشريف (شاكر) ابن عم الشريف حسين بشيوخ حوران والزوية من للاشتراك بالثورة، وقد تحمَّس للمشاركة آل الشرع؛ لأنَّهم كانوا وجهاء المنطقة، وَلِنَسَبِهِم (لآل النبوة) وَحَسَبِهِم، وكلامهم المسموع، والشيخ عكاش السالم وأقاربه من قرية العال، وعلاقات النَّسَب بين آل الشرع وآل السلامات، والشيخ عكاش شخصيًا، فهو متزوج من نزهة بنت عبد المجيد الشرع أخت الشيخ طالب الشرع، والشيخ طالب متزوج من أمونه السالم أخت الشيخ عكاش السالم، وكذلك الشيخ خالد الشرع أخو قاسم وأبو محمد الخالد، وابن عم

الشيخ طالب الشرع متزوج من عيوش السالم أخت عكاش. إذاً: الصلة قوية بين السلامات في قرية العال وآل الشرع في جيبين.

وعندما أُعلن استقلال البلاد الشامية في 8 آذار 1920، وتم تنصيب الملك فيصل ملكـًا على سوريا الطبيعية، وتشكيل الحكومة العربية برئاسة هاشم الأتاسي: بدأت هذه الحكومة بالتعيينات للحكام الجدد في العاصمة دمشق، والمحافظات في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان. فكان أن تم بعد التشاور مع الشيخ طالب الشرع: تعيين الشيخ عكاش السالم مديراً لناحية فيق، ورئيسـًا لبلديتها؛ مكافأة له وللشيخ طالب على وقوفهم مع ثورة الشريف حسين بن علي.

لكن ما إن تم طرد الملك فيصل من سوريا، وخضوع البلاد السورية لجيش الاحتلال الفرنسي: حتى بدأوا بطرد واعتقال من كان مع الملك فيصل والشريف حسين، وخاصة بعد معركة ميسلون في 24 تموز 1920، واستشهاد وزير الدفاع والحامية التي كانت معه والتي تصدت للقوى المحتلة بقيادة الجنرال (غورو)، ومن جملة ذلك تم إبعاد عكاش السالم عن مديرية الناحية، وجيء بشخص شركسي اسمه (عبد القدوس)، وتم تعيينه مديراً للناحية بدلاً من عكاش السالم. وقد احتج طالب الشرع وعكاش وآخرين على هذا: فتم اعتقالهم بعد استدراجهم من قِبَلِ مدير الناحية الجديد، ويُقال (سرقلوهم) عن طريق البطيحة، حتى لم يمروا بهم من الطريق الرئيسي الواصل للقنيطرة إلى سجن الحامية الفرنسية في القنيطرة؛ خوفـًا من

تصدي القرى الواقعة على طريق القنيطرة الواصل من فيق، ووضعوهم في سجن مشدد جداً؛ تمهيداً لمحاكمتهم وإعدامهم بحجة التمرد ضد سلطة الاحتلال الفرنسي. احتج أهل الزوية الغربية والشرقية، والوجهاء في حوران، وعشائر النعيم والفضل والحجايرة والذيابات والحرافشة، وهذه المنطقة مترامية الأطراف، فيها عشائر كثيرة في هذه القرى. وقيّض لهذين السجينين شرطي حارس عليهما من (تدمر السورية) اسمه (أحمد النجدي التدمري) لأنه عروبي وصاحب نخوة، وحزَّ في نفسه تعامل عملاء فرنسا مع هذين الشيخين في هذا السجن الحقير: فبدرت منه مبادرة أن يقوم بتهريبهما من السجن بدون أية شروط، فرحَّبا بذلك، سيَّما وأنهما كانا معرَّضان للحكم بالإعدام، ولكن اشترطا عليه أن يرافقهما ويكون واحداً من أبنائهم، فَقَبِلَ. وهكذا هرب أحمد النجدي ومعه الشيخ طالب الشرع وعكاش السالم من هذا السجن اللعين، وتم الاتصال مع أهلهما عن طريق شخص آخر. فجاء قاسم عبد الرحمن ابن عم طالب الشرع وعفاش السالم أخو عكاش ومعهما الأصايل من الخيل إلى نقطة محددة واصطحبا الثلاثة، وأشار (طالب) أن يتوجها إلى قرية (طفس) حيث شيخ مشايخ حوران آنذاك (طلال الحريذين)؛ من أجل تشكيل قوة للمجاهدين؛ لمقاتلة الفرنسيين وعملائهم وجنودهم، لكنهم للأسف لم يجدوا المساندة من هذا الشيخ؛ لأن ظروفه كانت صعبة أيضـًا، فتوجها غربـًا إلى

بلدة الشجرة، ونزلا بضيافة (محمد أبو كف المذيب أبو عزام) شيخ الزوية الشرقية، فلقيا كل ترحيب. ومن هناك بدأوا الاتصالات وأرسلوا المراسيل إلى:

1_ أبناء عمومة الشيخ طالب الشرع، وقد تكفل بذلك قاسم العبد الرحمن الشرع ومحمد الخالد الشرع ابن أخيه، وأحمد الحسين الشرع الذي كان بمثابة المتَّكأ لآل الشرع –وهو محدِّث لَبِق–.

2_ أبناء عمومة عكاش السالم، وقد تكفل بذلك عفاش السالم أخو عكاش.

3_ تم إيفاد أحمد الحسين الشرع – وهورجل متدين ومحدث ويعتمد عليه الشيخ طالب – إلى شيوخ عشيرة النعيم في الجوخدار إلى الشيخ (عبد الكريم الطحان) و(محمود الطحان).

4_ وإلى الأمير محمود الفاعور في واسط من قضاء القنيطرة – وهو ذو عشيرة كبيرة وأميرها – (عشيرة الفضل الهاشمية)، وقام بهذه المهمة (أحمد حسين الشرع) ومعه هلال السويدان الشرع وأخيه بديوي الشرع بن عبد الغني الشرع.

5_ وإلى شيوخ منطقة البطيحة (حمود الطبل، وأحمد الخطيب، وأبو نبوت).

6_ وإلى شيوخ نوى: حيث أن والدة شيخ نوى حسين المديب ومحمد المذيب من آل الشرع، ولهم كلمة في تلك المنطقة، وكانت نوى ناحية.

7_ وإلى شيخ عابدين (محمد أبو مشيلح) وهو رجل وقومه أشدَّاء وذو عزيمة، ومعروفون بالجرأة والشجاعة، ولهم علاقات قوية مع آل الشرع.

8_ شيوخ المناظرة في (كويا) و(بيت آره) و(معريه): وهم على صلة نسب مع آل الشرع (محمد أبا حسين) و(آل دماره).

وقد تم الاتفاق مع كل من اتصلوا به أن الاجتماع في أوائل شهر آب 1920 في مضافة الشيخ طالب الشرع ليلاً. وتم تجهيز /40/ فارسًا، و/40/ فرسًا، وأسلحة ألمانية. وتم تجهيز الخيل من الحمدانيات ملك آل الشرع، وأبو عرقوب ملك السلامات، والصقلاويات ملك عشيرة النعيم، وأنواع أخرى. أربعون فرسًا لأربعين فارسًا، وبنادق صناعة ألمانية. وتم تخطيط المعركة للهجوم على (سرايا فيق)، والانطلاق من مضافة الشيخ طالب الشرع. وتم تقسيم هؤلاء المجاهدين إلى مجموعات اقتحام يقودها (قاسم عبد الرحمن الشرع وابن أخيه محمد الخالد الشرع، وعفاش السالم، وهلال السويدان الشرع، وخليل عبد الوالي الشرع)، وفرقة مساندة من عشرة أشخاص، وفرقة دعم. والهجوم عند الساعة العاشرة ليلاً على مقرِّ الناحية في فيق، ومقر الحامية الفرنسية المكونة من عساكر موالين للسلطة الفرنسية وبعضهم من السنغال والمغرب العربي حيث المستعمرات الفرنسية.

وانطلق الموكب يتقدمه الشيخ طالب الشرع والشيخ عكاش السالم، في طريق بعيد عن أعين الجواسيس الذين كانوا يترصدون لهذين الشيخين، وخاصة بعد هروبهما من السجن، وما أن وصلوا إلى السرايا حتى تم الإجهاز على مدير الناحية المعيَّن من قِبَلِ الفرنسيين والحامية، وتم القضاء على كل القوى الجديدة التي جاءت مع

المحتل تحت راية الفرنسي، وإنزال العلم الفرنسي ورفع علم الثورة العربية الكبرى المعروف، وهو علم المملكة العربية السورية المعتمد في 8 آذار 1920، واحتلال الموقعين بشكل كامل. وهكذا دار في خَلَدِ هؤلاء الثوار (المجاهدين) أن الوجود الفرنسي لم يعد موجوداً. ونظراً لكبرياء هؤلاء المجاهدين وعدم قدرتهم على تقدير الموقف، والعنجهية التي يتميز بها هؤلاء: اقترح أحدهم أن ينزلوا ضيوفًا عند الشيخ شهاب الحمد -شيخ عشيرة الحجايرة وشيخ فيق-، وكان لآل الشرع بيوت وزيتون في فيق؛ لأنهم كانوا من سكانها قبل أن يعمروا قرية جيبين. كما أن عكاش السالم له صلة قرابة مع الحجايرة، ويعتبر عشيرته جزء منها، ولهم علاقة مودة وتراحم مع الشيخ شهاب الحمد وآله.

المهم: حلَّ الركب المؤلَّف من أربعين فارسًا في ضيافة الشيخ شهاب الحمد وأقاربه، وعلى الفور ذبحت الذبائح وتم تجديد القهوة العربية والشاي، وتم العشاء في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. لكن أحد المضيفين -وبعيداً عن الشيخ شهاب الحمد- قام بتسجيل أسماء من شاركوا في هذه الهجمة. وعندما تم استقدام القوات الفرنسية بعد ساعات على وقوع الحادث: تم تسليم تلك الأسماء للسلطات العسكرية الفرنسية، ومن فورهم قام هؤلاء الثوار بإرسال أحدهم لقراهم؛ كي يحتاطوا ويهربوا الحلال من أغنام وأبقار، والنساء والأطفال صوب الأردن، والثوار ساروا جميعًا باتجاه الأردن، فقطعوا نهر الشريعة ووادي خالد، ودخلوا

للأردن في منطقة (بني كنانة)، وتبعتهم نساؤهم وأولادهم الصغار وبعض من مواشيهم. وقد فقدوا الكثير من أغنامهم التي تُعَدُّ بالآلاف؛ لأن الذين أسرعوا بها دفعوها دفعًا للركض والسرعة، وعند وصلت لنهر اليرموك وهي لاهثة ومتعبة، بدأت تعبُّ من الماء من نهر الشريعة، الذي أسفر عن موت المئات من هذه الثروة (الأغنام خاصة)، وكانت حصة آل الشرع نحو ألف رأس، كما كان الحال مع آل السلامات.

سابعـًا:

الهجرة للأردن:

وقد علموا أن الجيش الفرنسي قد علم بما حدث، وأن النجدات قادمة إلى فيق، نجح هؤلاء الثوار بالتوجه نحو الأردن على خيولهم، وأرسلوا أخباراً لأهاليهم لأخذ الحيطة والحذر، وضرورة استكمال تهريب العائلات للأردن. وساروا في طريق غير مطروق إلى جنوب بلدة فيق إلى بلدة اسمها (صفورية) بلد آل الفقير -وهي على شفا وادي خالد الفاصل بين الأردن وسوريا- ومنها انطلقوا إلى قرية (دبوسيا) وهي قريبة جداً من محطة القطار في وادي خالد (نسبة لخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) الذي يصل من (دمشق) إلى (درعا) إلى (سمخ) في فلسطين، وإلى ميناء حيفا، ومن دبوسيا نزلوا إلى وادي خالد فقطعوا الشريعة (نهر اليرموك) وتسلقوا هضبة أوصلتهم إلى القرى الأردنية في منطقة بني كنانة -ما عدا قاسم الشرع- فقد اتفق مع ابن أخيه محمد خالد الشرع وأقاربه أن يذهبوا لقرية جيبين؛ للدفاع عنها بوجه القوات الفرنسي المتوقعة. وعند الظهر كان معظم المجاهدين قد توزعوا على القرى الأردنية المقابلة لقرى منطقة الزوية في الطرف الجنوبي لوادي اليرموك، فاستقبلتهم العشائر الأردنية من عشيرة العبيدات التي تنتشر في سبع قرى من لواء بني كنانة، وشيخ العبيدات في بلدة (حرثا)، وقد كان شريكـًا للشيخ طالب الشرع في مطحنة على نهر الشريعة تعمل بطاقة المياه، وكانت منطقة الزوية بكامل سكانها

يطحنون القمح في هذه المطحنة والبرغل أيضـًا، وكذلك جميع قرى العبيدات في حرثا، والطره، والرفيد، وكفر سوم، وسمر -أيضـًا- يطحنون غلالهم في هذه المطحنة.

وكانت العلاقات العشائرية قوية بين الجانب الأردني والعشائر والعائلات على الجانب السوري، ولم تكن أية حواجز تذكر. إذ كانت في تلك الأيام كل المنطقة الممتدة من الجزيرة وشرق الفرات، وشمال سوريا وشرقها، كلها شعب واحد. ولكن "سايكس بيكو" هذه هي التي فرَّقت بلاد الشام، وجعلت من سوريا مستعمرة فرنسية، والأردن وفلسطين مستعمرة بريطانية بموجب قرارات الوصاية التي أقرَّتها عصبة الأمم. فهي تتحرك بلا قيود؛ لأنَّ لهم أقارب وأرحام وصلات عشائرية. المهم: حلَّ هؤلاء المجاهدون ضيوفـًا على عشيرة الطوالبة والغوانمة والرقيبات في سحم الكفارات، وسمر، وفي كفر رسوم حيث عشيرة العبيدات، واستضافوهم في بيوتهم. وعندما وصلت العائلات بعد يوم أو يومين: نصب هؤلاء المجاهدين بيوت الشعر لكل عائلة في المنطقة الممتدة من (سمر) إلى (سحم الكفارات) إلى (كفر سوم). وقدمت العشائر العربية في المنطقة ما يلزم للمساعدة من: بيوت للشعر، وفراش، ولوازم الطبخ من برغل وسمن وخراف ودجاج وقهوة، وغيرها. وبدأت هذه العشائر تتعازم هؤلاء الثوار القادمين من سوريا من منطقة الزوية. أما الشيخ (طالب الشرع) و(الشيخ عكاش السالم) استضافهم شيخ عشيرة

العبيدات في حرثا لبعض الوقت ثم عادوا إلى عائلاتهم في منطقة سحم الكفارات.

وكان شيخ الطوالبة هو (خلف القعدان) و(طوقان الطوالبة)، و(بيت الموسى).

وكذلك عشيرة الرقيبات التي لها صلة قرابة مع آل الشرع، والطوالبة لهم نَسَبٌ مع آل الشرع، والآخرين -أيضًا- كانوا في ضيافة عشائر بني كنانة، ولم يتفرقوا؛ لأن أمامهم مهام لم تنتهِ بعد.

ثامنـًا:

بداية الحملة الفرنسية الانتقامية:

وصلت طلائع الحملة الفرنسية في اليوم التالي، وبعد التدقيق والتمحيص وأخذ شهادة الشهود وتقارير عيونهم: اتضح أن الرأس المخطط لهذه الثورة هو (طالب الشرع) وأبناء عمومته، و(عكاش السالم) وأبناء عمومته، و(عبد الكريم الطحان) وأقاربه. وتأكدوا أن من نفَّذ الهجوم وقتل مدير الناحية والحامية، هو (قاسم عبد الرحمن الشرع) ومعه أبناء عمومته، و(عفاش السالم)، وقد كانوا ضمن القوة المهاجمة التي نفَّذت هذه العملية. وعليه فقد تم تشكيل قوة من منتسبي الجيش الفرنسي الذين حضروا لمهاجمة (قرية جيبين) و(العال) وقتل من يصادفهم. وفعلاً فقد تم قتل سبعة أشخاص ليس لهم علاقة بالعملية من قريتي العال وجيبين؛ بقصد دبِّ الذعر في صفوف الأهالي، شأن أية قوة محتلة.

لكن قاسم الشرع ومن معه، وكذلك عفاش السالم تصدوا لهذه القوة، لكن المطلوبين للسلطات الفرنسية هم مجموعة من آل الشرع وآل السلامات، وعليه فقد تم الهجوم على هاتين القريتين. وقد تم ذلك في البداية بالسؤال عن (طالب الشرع) و(قاسم الشرع) و(محمد خالد الشرع)، وأين هم؟ وكانت دار (خالد العبد الرحمن الشرع شقيق قاسم الشرع وأخيه الأكبر) وابنه محمد الخالد الشرع، ودار طالب الشرع، حيث لم يبقَ فيها غير ابنه الكبير (عبد المجيد).

وأما إخوته الصغار (عبد الكريم، محمد فوزي، وعبد العزيز) فقد التحقوا بوالدهم في الأردن. وبدأ هذا الجيش الهمجي يمارس التخريب في هاتين الدارين: فقد خلطوا الحبوب والمؤونة والطحين والسمن ببعضه، وتم قتل رؤوس الماشية، وبدأوا تعذيب بالشيخ (خالد العبد الرحمن الشرع) -وكان شيخـًا كبيراً- لِيدُلَّهم على أخيه وابنه، وكان التعذيب متعدد الوجوه، ويتَّسم بالقسوة، وكذلك الأمر مع عبد المجيد بن طالب الشرع. وخاصة أن الكمين الذين نصبه قاسم الشرع أَوْقَعَ خسائر في القوة المهاجمة.

ومن أساليب التعذيب: كانوا يأتون بالصاج الذي يقلون فيه الخرفان بالسمن (الصاجيه) ويضعوه على النار، ويضعوا فيه تنكة سمن حتى يغلي، ثم يلوحون بالشيخ خالد الشرع ليضعوه في هذا السمن المغلي، وكذلك فعلوا مع عبد المجيد ظنـًّا منهم أن يَدُلَّهم أو يُسلِّمهم المطلوبين للقوات الفرنسية، ثم يختارون (ثوراً أو عجلاً سمينـًا) ويطلبون أن يتم ذبحه وطبخه، وبعد ذلك يلقون الأكل في أرض الحوش، ويطلبون من خالد الشرع -الشيخ الكبير في السن- أن يحرسهم حين يناموا، وأن يظل واقفـًا طوال الليل حتى الفجر؛ خوفـًا من قاسم الشرع وابن أخيه، وإذا أحسوا بأي شيء أو حركة يعاقبوا هذا الشيخ، وكذلك يفعلون مع عبد المجيد. وتظل هذه المفارز جاثمة على صدور هاتين العائلتين لشهور طويلة بل سنين، وكذلك فعلوا مع آل عكاش السالم وأخيه: فخرَّبوا بيوتهم، وأتلفوا محاصيلهم من

القمح والطحين، وذبحوا المواشي، وعذبوا من بقي منهم في الدار الواسعة. وكذا الأمر مع آل الطحان في الجوخدار. وقد كان يقوم بكل هذه الأعمال الخسيسة العساكر المنتمين للمستعمر الفرنسي وغالبيتهم من السنغال والمستعمرات الإفريقية ومن المغرب العربي، وكان هؤلاء جلاف وغلاظ، ولكن تحت إمرة ضابط فرنسي يعطيهم الأوامر للتنفيذ بقصد إيذاء من يسكن في بيوت آل الشرع والسلامات.

أما وقد علم المجاهدون في الأردن بما حدث لأهاليهم، فجنَّ جنونهم، وخاصة (قاسم العبد الرحمن الشرع وابن أخيه محمد)، وكذلك (عفاش السالم) بعد أن التحقوا بمن سبقهم للأردن: فبدأوا ينفذون عمليات ضد التواجد الفرنسي في هذه القرى، وقد أَوْقَعوا بينهم قتلى، إلى درجة أن أخشى ما يخشاه هؤلاء العسكر هو ذكر اسم (قاسم ومحمد الشرع، وعفاش السالم). كان اسم هؤلاء المجاهدين مرعباً للقوة الفرنسية المستوطنة، وقد شكل هؤلاء الثلاثة ومن معهم من أقاربهم قوة هجومية تكاد تكون يومية في الليل لهؤلاء العساكر الذين يحتلون بيوت آل الشرع وآل السلامات. وكان هؤلاء العساكر يرجون الشيخ خالد أن يحميهم من (قاسم) و(محمد) و(عفاش). وبعد أشهرٍ من تواجد هؤلاء المحتلين: بدأوا يخشون على أنفسهم من الثأر الذي استفحل ضدهم بفضل هؤلاء الثوار الذين كان يقودهم قاسم عبد الرحمن الشرع، وعفاش السالم، ومحمد خالد الشرع، وأطلقوا

عليهم "الأشقياء الثلاثة"، وبدأوا يخففون الضغط على الشيخ خالد الشرع وعلى عبد المجيد، وآل عكاش لسلامتهم؛ لأن الخوف استحكم فيهم من سطوة الأشقياء الثلاثة (القوات الضاربة). فقد كان هؤلاء المجاهدون ومن معهم يأتون من سحم، أو من الوادي؛ ليهدد هؤلاء الغزاة، وتوسعت دائرة القوة المهاجمة: فشكلوا قوة ردع للقوات الفرنسية والقوات المتعاونة معها من السوريين، ونفذوا عمليات هجومية في معظم المناطق التي تواجد فيها الجيش الفرنسي في منطقة الزوية وحوران والقنيطرة، التي بدأت العشائر العربية تمرداً ضد القوات الفرنسية، يقودها الأمير محمود وأخيه شامان الفاعور، ومن جباتا الخشب (أحمد مريود) الذي كان قد لجأ إليه المجاهد (أدهم خنجر) الذي كان ضد الفرنسيين في لبنان. لكن (أحمد مريود) كان في دائرة الخطر فلم يستطع حمايته، فطلب إليه الاستجارة (بسلطان باشا الأطرش) في (القريا) من أعمال جبل الدروز. وفعلاً وصل إلى مضافة الباشا ولم يكن الباشا ولا رجاله موجودين، حيث كانوا مطاردين في مدينة الأزرق الأردنية، فتم إلقاء القبض على المستجير (أدهم خنجر) وتم إعدامه فصاحت النساء: (وينك يا سلطان)، (لقد دنسوا دارك ومضافتك وأعدموا المستجير بك). وهذه عند العرب كبيرة وكبيرة جداً؛ لأن المستجير له كل الحماية والرعاية حتى يعود لأهله سالمـًا غانمـًا. فهب سلطان وقام معه جبل العرب، واشتعلت الثورة ضد المحتل الفرنسي قوية ومكينة.

وكانت منطقة القنيطرة تغلي ضد المستعمر الفرنسي: فهب الأمير محمود الفاعور مع قبيلته الفضل، وبدأوا صراعـًا مسلحـًا مع الحاميات الفرنسية، وكذلك فعل (أحمد مريود) انطلاقـًا من جباتا الخشب والقرى حول القنيطرة في تحدٍّ واضحٍ لقوات الاحتلال الفرنسي. وعندما ضيقوا الخناق عليه جاء للأردن للالتحاق برجال الثورة السورية. وكذا في جبل الزاوية وحلب بقيادة (إبراهيم هنانو)، ومنطقة العشائر العربية ثورة الشيخ محمد العيَّاش وقبيلته في دير الزور شرق وغرب الفرات (العكيدات، شمر، عنزه، الجبور، البكارة، وطي)، وحماة وريفها (الحديديين والتركاوي)، وفي حمص (الزعيم هاشم الأتاسي) رئيس (الكتلة الوطنية)، وريف حمص من العشائر العربية (الفواعرة، والخوالد، والحديديين وآخرين..). ومن قرية الشيخ بدر في جبال العلويين انطلق المجاهد صالح العلي ضد التواجد الفرنسي معتمداً على وطنية أبناء الساحل السوري.

هذه الثورة السورية التي انطلقت في كل منطقة على حدة، معظم قادتها في الأردن الذي كانت إمارته حديثة العهد تحت حكم الأمير (عبد الله بن الشريف حسين) ابتداءً من 1920، ولكن تحت الوصاية البريطانية. ولكن الأمير اعتبر أن إمارة الأردن مقدمة لإقامة سوريا الكبرى (بلاد الشام)، وظل ينادي بذلك طوال حياته. ولذلك كان من لجأ للأردن من الثوار السوريين مكان ترحيب وحسن وفادة، برغم وجود الجيش البريطاني والجنرال (كلوب باشا أبو فارس).

تاسعًا:

دور العشائر الأردنية في استقبال الثوار:

أما ثوار الزوية بقيادة الشيخ طالب الشرع وعكاش السالم وعبد الكريم الطحان، بعد أن استتبت لهم الإقامة في الشمال الأردني، وبعد استقبال العشائر الأردنية في بيوت الشعر التي نصبوها بين قرية سمر وسحم الكفارات وكفر سوم، فقد توافد إليهم زعماء العشائر:

- زعيم عشيرة العبيدات في الشمال الأردني، وله صلات مع الشيخ طالب الشرع.

- زعيم عشيرة الطوالبة: حيث هم المضيفون لهم في سحم الكفارات وسمر، وهذه العشيرة لها صلات ونسب مع آل الشرع وآل الحسين في كفر الما).

- زعيم عشائر بني كنانة في وادي الشريعة: وهذه العشيرة نصفها في سوريا والنصف الآخر في الجانب الأردني.

- زعيم عشيرة الزعبية من الرمثا: وهذه العشيرة كبيرة وممتدة من حوران إلى الأردن.

- زعيم عشائر السرحان من وادي السرحان المحاذي للجاة السورية: وهي عشيرة بدوية لها ارتباطات واسعة مع العشائر السورية في حوران والزوية.

- زعيم عشيرة بني حسن من المفرق ونواحيها.

- زعيم عشيرة الخوالد القاضي العشائري (سعود القاضي) من (حوشا)، وله صداقة مع آل الشرع وآل السلامات وآل الحسين.

- وفود من عشيرة بني صخر والفايز: موفدين من الشيخ (حديثه الخريشه)، وقد كان للشيخ حديثه الخريشه مواقف هامة مع آل الشرع والسلامات ومعظم السوريين.

- ووفود من عشيرة العبادي في (ماعص والفحيص).

- ووفود من عشائر إربد وحواره، ومن عجلون، ومن النعيمة.

- ووفود من السلط، والعشائر العربية في الجنوب الأردني من الطفيلة والكرك ومعان (البطاينة، التلول، الشرع، الخصاونه، الحويطات في الجنوب الأردني، ومن سما الروسان، ومن (ملكا)، وعشائر أم قيس في منطقة بني كنانة.

ومجمل هذه العشائر قامت بالواجب العرفي المعروف تجاه هؤلاء المجاهدين. وكان الشيخ طالب الشرع، والشيخ عكاش السالم، والشيخ عبد الكريم الطحان يشكرون هؤلاء الذين أبدوا ترحيبهم بإخوتهم من منطقة الزوية والمناطق الأخرى على حسن الضيافة والوفادة والتكريم، معاهدين الله ثم العرب أن الثوار سيقتلعون المستعمر مهما طغى وتجبَّر.

في الوقت والزمن الذي تتوافد وفود العشائر إلى مضارب ثوار الزوية، كان السيف والرمح والتشكيل القتالي بالأسلحة البسيطة بين يديهم يقوده البطل (قاسم عبد الرحمن الشرع أبو عارف وابن أخيه الخالد الشرع، وعفاش السالم) وأبناء عمومتهم، مقلقين وضع الحاميات الفرنسية التي كانت قد تمترست في دار خالد العبد الرحمن الشرع، وعبد المجيد بن طالب الشرع، وما لاقوه من ضنك وتضييق عليهم. وقد هاجموا هذه الحاميات ضمن مضافات خالد الشرع وعبد المجيد وعكاش السالم، وكانت هذه الحاميات تطلب من المشايخ حمايتهم من صولات الثوار الأبطال الميامين.

عاشراً:

بداية التنظيم لمواجهة الموقف الجديد:

لذا اجتمع الأربعون فارسًا الذين قاموا بالثورة ضد المحتل، وبدأوا بتنظيم أنفسهم وفقًا لمشورة الشيخ طالب الشرع أبو عبد المجيد، وعكاش السالم أبو سالم، وعبد الكريم الطحان: فتم تشكيل وفد من هؤلاء الأربعة للاتصال أولاً مع الأمير عبد الله، وشرح قضيتهم له. وفعلاً: ذهب الوفد برئاسة الحاج طالب الشرع إلى عمان، وطلب مقابلة الأمير عبد الله بن الحسين، وطلب الأمير عبد الله إدخال الشيخ طالب الشرع بقوله: "أدخلوا ابن عمي طالب" لصلته الهاشمية، لكن الشيخ طالب قال: بل جميعنا، فسلموا على الأمير، وشرح طالب للأمير كيف غدر الفرنسيون بالملك فيصل واحتلوا سوريا، ومن حق الشعب أن يقاتل دفاعًا عن بلده ضد المحتل والغزاة، وأشار إلى بطولة الشهيد وزير الدفاع يوسف العظمة، واتساع نطاق الثورة، فرحب الأمير بالوفد وطمأنهم أنهم في حمايته وجميع الثوار السوريين، وأشار إلى أن الثورة العربية الكبرى هدفها واضح، وهو: تأسيس مملكة عربية مستقلة من حلب إلى عدن، ومن جبال زاغروس -شرقي العراق- إلى البحر المتوسط والبحر الأحمر، ولكن كما تعرفون فإن الإمارة الوليدة تحاول أن تؤسس الجيش العربي، وهو متاح للتطوع فيه لكل أبناء العرب، ونتطلع إلى قيام سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب. ونصحهم بتوثيق علاقاتهم مع العشائر العربية في الأردن، وتوحيد

صفوفهم مع المناطق السورية الأخرى؛ لأن قضيتكم تحتاج إلى تجميع القوى السورية جميعـًا، ونحن نبارك ذلك. خرج الوفد مسروراً من مقابلة الأمير عبد الله بن الحسين، وتكررت الزيارات بعد ذلك. ومن فورهم نظَّموا زيارات لكل القوى السورية المتواجدة في الأردن لكل القوى السورية المتواجدة في الأردن: فزاروا السلطان باشا الأطرش في مدينة الأزرق، وزاروا أحمد مريود القادم الجديد، وكذلك زاروا عرب وادي السرحان وبلدة (المغيّر) التي تواجد فيها الثائر من درعا (مصطفى الخليلي) الذي قاد معركة (غباغب والمسيفرة) ضد الوجود الفرنسي، ثم قاموا بجولة شملت الشيخ القاضي (سعود القاضي) شيخ عشيرة الخوالد في حوشا، وبني حسن في بلدة المفرق والحضاونه في النعيمة، والبطاينة في إربد، والشرع والغرايبيه في حوّارة، وعرار الشاعر (مصطف التل) شيخ عشيرة التلول، وجميع العشائر التي زارتهم وتضامنت معهم من عشائر الأردن، وزاروا الشيخ (حديثه الخريشه، والفايز) شيوخ عشائر بني صخر، وزاروا (مأدبا) و(عجلون) و(السلط) و(ماعص) و(الجنوب)، وشيوخ عشائر البادية في رحلات متقطعة. وجلبوا السلاح والمال لتمويل العمليات العسكرية التي يقودها قاسم الشرع وعفاش السالم وأبناء عمومتهم. وقد كان لموقف العبيدات والطوالبة وبني كنانة وسما الروسان وأم قيس أكبر الأثر في تدعيم الهجمات المتقطعة وحرب العصابات التي شملت منطقة الزوية وحوران. وتم الإجهاز على رئيس الوزراء المعيَّن من قِبَلِ الاحتلال (علاء الدين

الدروبي) المتعاون مع الفرنسيين في منطقة الشيخ مسكين، والذي قام بضرب هذا المتعاون هو قاسم عبد الرحمن الشرع وفريقه، كما ضربوا الجنرال (هنري غورو) شمال مدينة القنيطرة بالتعاون مع ثوار جباتا الخشب (أحمد مريود)، وأصابوه في يده التي بقيت مشلولة طوال حياته.

وانتظم السوريون الثوار في لقاءات لتوحيد الصفوف: حيث تجمع في الأردن معظم القيادات السياسية والمجاهدين، منهم: شكري القوتلي، جميل مردم بك، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وهاشم الأتاسي الذي كان له دور مشهود في تأسيس الكتلة الوطنية التي ضمت السياسيين السوريين المطالبين باستقلال بلادهم.

وفي منطقة الزوية: كرَّس الاحتلال مزيداً من القوات، وعمل الكمائن على الحدود الأردنية السورية عند خط القطار الواصل إلى حيفا بجانب نهر الشريعة، وفي القرى التي كان منها الثوار (جيبين، العال، عابدين، الشجرة، دبوسيا). وقد أمعن الاحتلال في السيطرة على أرزاق بيت طالب الشرع وخالد الشرع كونه الأخ الأكبر لقاسم الشرع، وابنه محمود خالد الشرع، وهذين البيتين كان لهما أرزاق كثيرة (أراضي واسعة ومحاصيل وبيوت عامرة)، وعندهم العديد من العاملين في هذين البيتين (ممن يعمل في الحرث للأراضي وجني المحاصيل، والعمل داخل البيوت).

حادي عشر:

تزايد توافد السوريين إلى إمارة شرق الأردن، ودور العشائر في حماية الثوار:

بدأ توافد المزيد من قادة الثورة السورية ضد المحتل الفرنسي من سياسيين، ورجال النخبة المثقفة، ورجال العشائر العربية، من دمشق بدأ يتردد على الأردن شكري بيك القوتلي، وجميل مردم بك، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي كان أول رئيس وزراء في حكومة الملك فيصل العربية، وتم اختياره أكثر من مرة رئيسًا للجمهورية في ظل الاحتلال؛ لما يتمتع به من شخصية وطنية قادرة على قيادة التوجهات الوطنية ضد المحتل، وإقامة السلطة الوطنية السورية تمهيداً للاستقلال، وعندما كان يجد أن الأمور مستعصية والمستعمر يتمادى في غَيِّه: ينسحب ويستقيل.

وقد شهد الأردن توافد قادة الثورة السورية من جميع المناطق، وقد سعى هؤلاء إلى توحيد صفوفهم وتوسيع دائرة التمرد ضد الفرنسيين وأعوانهم في جميع المناطق. ولذلك بدأ التفكير اعتباراً من عام 1923 بتشكيل التجمع السوري الأول، وأطلقوا عليه "الكتلة الوطنية"، وكان رئيسها أولاً الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ثم هاشم بك الأتاسي. وضمت في عضويتها جميع القوى الثورية التي قامت ضد المحتل الفرنسي، ومنهم شكري بيك القوتلي، وعبد الرحمن الشهبندر (دمشق)، وإبراهيم هنانو، وصبري العسلي، وفخري البارودي، وحسن الحكيم، والشيخ محمد الأشمر، والمجاهد حسن الخراط قائد ثورة الغوطة في ريف دمشق، ومن حوران

مصطفى الخليلي، وقاسم الخليل، وشخصيات عشائرية. ومن الزوية طالب الشرع، وعكاش السالم، وعبد الكريم الطحان، ومحمد خالد الشرع، وعمه قاسم الشرع، وآخرين.

وقد عقدوا عدة اجتماعات في إربد، وفي عجلون، وفي عمان، وفي بيت الشيخ حديثه الخريشه، وقرروا أن تتولى الكتلة الوطنية قيادة العمل السياسي بالتباحث مع المندوب السامي الفرنسي، ووزير خارجية فرنسا. وكان يرأس الوفود السياسي السوري القدير فارس بك الخوري، وجميل مردم بك، وسعد الله الجابري، وناظم القدسي، ومعروف الدواليبي. وهؤلاء جميعًا كانوا شخصيات متعلمة ومثقفة ومنحازة للجهد الوطني السوري الذي كان يمثله المجاهدون في الميدان.

وقد انضم لهذه الكتلة المجاهد سلطان باشا الأطرش الذي أعطى لهذه الكتلة وزنًا وقوةً. وفي العام 1925 كان تشكيل الثورة قد اكتمل بإعطاء القيادة العملياتية في لسلطان باشا الأطرش ورفاقه في جميع المناطق السورية. ففي كل مدينة ومنطقة لهم ممثلين سواء كانوا في الداخل السوري أو في الاغتراب، ومن ضمنهم ثورة الزوية ممثلين بطالب الشرع وابن عمه قاسم الشرع، ومحمد خالد الشرع، وكذلك بالشيخ عكاش السالم وأخيه عفاش السالم، وعبد الكريم الطحان.

وللأسف.. في تلك السنة وبعد رحلة طويلة من القتال والتصدي لقوى المحتل في الزوية، وللمسافات الطويلة التي كان يقوم بها أبو عارف قاسم الشرع، فقد أنهكه

التعب وهدَّه المرض، وكان قد أصيب في إحدى المرات إصابة قاتلة وتوفي على إثرها، وتم دفنه في مقبرة سحم الكفارات، وبهذا خسرت المنطقة والثورة السورية أحد قادتها الميدانيين، وبعده توفي عفاش السالم -وكان مقاتلاً شرشـًا-، وقام بِعدَّة أعمال بطولية، ثم لحق بهم محمد خالد الشرع بعد ذلك: حيث حوصر في بيته في جيبين، وكانت إحدى عيون الجواسيس قد رصدته فأخبرت السلطات الفرنسية عنه، فهب يقفز من بيته على شفا الوادي (وادي جيبين)، وقد طاردته القوات الفرنسية واستطاع أن يهرب منها، وكانت المطاردة قوية، ولكن الوادي بتضاريسه الصعبة وأشجاره الكثيفة، فَدَسَّ نفسه في شجرة سِدْر حتى يُمَوِّه عن القوات الفرنسية التي لم تتوقع أن أحداً يمكن أن يدخل لمثل هذه الشجرة ذات الشوك الصعب على أي إنسان أن يتحمل وخزاته، ولكن الروح غالية، فآثر أن يدخل إلى جوف هذه الشجرة القوية في وخزاتها لتضليل القوة الفرنسية المطاردة له، وكونه محكوم بالإعدام، فلو ألقوا القبض عليه يُنَفَّذُ به حكم الإعدام لا محالة. وكان أن صدرت أحكام بالإعدام على كلٍّ من: طالب الشرع، وقاسم الشرع، ومحمد خالد الشرع، وهلال سويدان الشرع، وحسين الأحمد الشرع، وخليل عبد الوالي الشرع، وكذلك على عكاش السالم وأخيه عفاش السالم، وعلى عبد الكريم الطحان النعيمي وأخيه محمود الطحان، وآخرين..، وهي أحكام غيابية صادرة عن محكمة فرنسية ذات صفة قطعية؛ لأنها حكومة احتلال.

المهم: أن محمد الخالد الشرع مكث داخل هذه الشجرة لساعات متحملاً أشواكها كيفما تحرك، إلى أن أفلست الحملة المطاردة له، فرجعت هذه الحملة إلى بيت أبيه الشيخ خالد عبد الرحمن الشرع لممارسة عاداتهم في التعذيب والتخريب، ولماذا لم يخبرهم بوجود ابنه عندهم، وكانت هذه عادات جيش الاحتلال. بعد ذلك وفي المساء: خرج مجموعة من أهالي القرية والعاملين في دار خالد الشرع على أضواء الفوانيس يبحثون عن محمد الشرع في جوف الوادي، وبعد فترة سمعوا أنيناً في جوف شجرة السِّدْر، وعندما صاحوا عليه: ردَّ لهم الجواب، فبدأوا عملية انتشاله من جوف هذه الشجرة ذات الإبر مثل السكاكين، واهتدوا إليه وانتقلوا به صوب نهر الشريعة، حيث عملوا له الإسعافات الأولية من الجِراح التي كانت في جسده –وهي إسعافات بدائية–، حيث تم ربط الأجهزاء المصابة لمنع ازدياد تدفق الدم قدر الإمكان. وأخيراً أوصلوه إلى مكان سكناه في بيت الشعر المُعَدِّ له في سحم الكفارات، فاستقبلته زوجته وبعض أقاربه، وزاره الشيخ طالب الشرع، والشيخ عكاش السالم مُتَمَنِّينَ له السلامة، فحدَّثهم عما حدث معه بالضبط قائلاً:

لقد أحسست وأنا هنا أن والدي الشيخ خالد الشرع أصابه مكروه من قِبَلِ الجنود الفرنسيين، فقرَّرت أن أذهب إلى هناك لأطمئن على والدي وعلى أرزاقنا، وعلى أولاد عمي الشيخ طالب الشرع وأرزاقه، ودخلت عليهم في دارنا وكانت الأمور مستتبة، ووجدت والدي بخير، والقوات الفرنسية كانت تأتيهم بين يوم وآخر

يسألون عن عمي قاسم، وعن عمي طالب، وعن أقاربي، ويمارس كعادتهم التخريب والابتزاز، وقد طمأنني والدي أنه يمكنك أن تنام الليلة هنا، وهذا ما حدث. وبعد السهرة ذهبت لغرفتي ونمت، وكنت أشعر أن جسمي تعب، وربما أصابتني حُمَّى، وقبل صلاة الفجر بنحو ساعة داهمت قوة فرنسية بيتنا، وسمعت هرج ومرج، وفهمت أنهم يسألون والدي خالد عني وعن عمي قاسم؛ لأنهم لا يعرفون أنه تُوفي وعمي طالب، وكانوا متأكدين أنني هنا بواسطة دليل لهم في القرية، وهو من أخبرهم بذلك، وربما شاهدني وأنا أدخل إلى دارنا. فجاءت بعض النسوة وصاحوا في وجهي أن أهرب فالدار مطوَّقة. لا أعرف كيف نهضت واقفًا ومعي بارودتي، وصعدت إلى سطح الغرفة ونزلت إلى دار (محمد أبو قويدر) الملتصقة بدارنا، ومنها قفزت إلى الوادي والبساتين، وكانت القوة الفرنسية تتعقبني وتطلق الرصاص، حتى نزلت إلى عمق الوادي حيث الأشجار الكثيفة والغدران. وفي منطقة الغدران وجدت شجرة في جوف الوادي الضيق بين جبلين -لم أكن أعرف كُنْهَ هذه الشجرة- فبدأت أَدُسُّ جسمي بها -وكانت أشواكها كالسكاكين- وهي ذات أشواك حادة جداً، حتى وصلت لوسط هذه الشجرة، وقد سمعت الجنود الفرنسيين يتكلمون العربية وهم من المغاربة والسنغال، يحومون حول هذه الشجرة، ولكن تم تعميتهم عني، لكني بدأت أُعاني من جروح أحدثتها في جسمي هذه الشجرة وأشواكها الحادة كالسكاكين، إلى أن أفلسوا من إلقاء القبض عليَّ، فحاولت أن

أخرج من جوف هذه الشجرة فلم أتمكَّن، وسلمت أمري إلى الله، وبقيت على هذا الحال حتى جاء أهل القرية الذين اكتشفوا وجودي هنا وأخرجوني بطريقة أصعب مما دخلت؛ لأني في الدخول إليها كانت كلها هواجسي ألَّا أقع فريسةً بيد هؤلاء. وقد علمت من أهالي القرية المنقذين أن -فلانـًا- قد وشى بي، وكان عينـًا للقوات الفرنسية علينا نحن ثوار آل الشرع، وحينما يُتاح له ذلك يُخبر السلطات الفرنسية ويقبض ثمن خيانته. وأقسمت أنا وعمي قاسم أن ننتقم منه في أقرب فرصة ونُعزِّره أمام أهل القرية، (إلَّا الخيانة)!

لكنَّ الأجل كان قد أنهى حياة عمه قاسم عبد الرحمن الشراع: حيث قام بنصب كمين في مكان بعيد في منطقة (الحلابات) القريبة من قرية خسفين -شمالها-، ويومها قد هدَّه التعب. إذ انطلق مع مجموعة معه بعد أن استطلع تواجد قوة فرنسية ترابط هناك لترصد الثوار، والمسافة تزيد على أكثر من /40/ كم بين سحم الكفارات ومنطقة الحلابات في الجولان، وقد أعياهم المسير، ونفَّذوا ما قاموا به ورجعوا. حيث كانت الأيام شتوية والمنطقة باردة جداً، وهي على مبعدة من جبل الشيخ المثلج، وعند عودتهم أغرتهم مياه نهر اليرموك، فاغتسلوا في الماء البارد ولبسوا ثيابهم المبللة بالعرق، فكانت إلى جانب التعب مرهقة، وعلى ما يبدو أُصيبوا بنزلات بردٍ قويةٍ، فكان الموت قريب إلى قاسم الشرع. وبهذا فقد ثوار الزوية أبرز رجالاتهم من المقاتلين الأشداء -وكان الشيخ طالب الشرع وهو ابن

عمه يعتمد عليه كثيراً- وراح اسمه يذاع وينتشر بين العشائر العربية وبين الثوار، لكنَّ الأجل والمكتوب ما عنه مهروب -رحم الله هذا المجاهد ابو عارف ورحم الله جميع الشهداء-، وقد نعاه جميع ثوار السوريين، وتقبَّل التَّعازي به الشيخ طالب والشيخ عكاش، وابن أخيه محمد الخالد الشرع وأبناء عمومته، وجميع ثوار الزوية.

على أنَّ القدر لم يُمهل محمد الشرع بعد حادثة شجرة السِّدْر طويلاً، إلَّا أنَّه نفَّذ وصية عمه قاسم: إذ داهم في يومٍ عند الظهيرة بيت العميل الذي كان يتجسس على آل الشرع، فانتزعه من بيته وأخذه إلى مستنقع بقايا الأمطار التي تزخر به هذه المنطقة، فبهدله واجتمع أُناس من نساءٍ ورجالٍ، وصاح بأعلى صوته: هذا الخائن جاسوس لعدوِّنا الفرنسي. وبعد دعكة، مرغه في الوحل والطين في هذا المستنقع، وقال: هذه وصية عمي أبو عارف، وقد نفَّذتها، وليعلم كل من تُسوِّل له نفسه أن يكون عميلاً وعيناً للمحتل، عليه أن يتلقى هذا الإنذار، أما التالي فسيكون أشد وأدهى وتطير الرقاب.

وبعدها بفترة توفي المجاهد محمد خالد الشرع ولحق بعمه أبو عارف، وكذلك توفي عفاش السالم، وكان هؤلاء الثلاثة ومعهم الكثير من أقاربهم وبعض الرجال من العشائر العربية في الأردن، كانوا القوة التي يُحسب لها حساب.

- في الأردن: بدأ الجيش البريطاني يضيق ذرعاً بالثوار السوريين، حيث خاطبت القوات الفرنسية في سوريا الجيش البريطاني بضرورة تسليم هؤلاء الثوار لإعادة

محاكمتهم أمام المحاكم الفرنسية لكنَّ (الأمير عبد الله بن الحسين) لم يعتد بما طلبه الإنجليز والفرنسيون، وقال لهم: هؤلاء مستجيرين عندنا وعند العشائر العربية، ومن يقرب منهم سيتم اتِّهامي أنَّني غير قادر على حماية المستجير -وهذا عرفٌ عريقٌ عند العرب- أنتم لا تعرفونه ولا تفهمونه؛ لأنَّ من عاداتنا حماية المستجي. ولو كلَّفنا ذلك الكثير. فإذا أردتم أن تصطدموا مع العشائر العربية الأردنية فافعلوا إن استطعتم، ستقوم الدنيا عليكم، وسيلاحقني الخزي والعار طويلاً.

لذلك: هؤلاء السوريون منا ونحن منهم، ودعا العشائر العربية في الأردن لأخذ علمٍ بهذا، منبهًا ومحذراً من المساس بهؤلاء المجاهدين، فكان صوت العشائر العربية الأردنية* أقوى ومؤيدة لموقف الأمير. واجتمع زعماء هذه العشائر مع من يمثل التواجد الإنجليزي، وخاصة (كلوب باشا أبو فارس)، وهددوه، وكان يتظاهر أنه يعرف جيداً عادات العرب وحماية المستجير، فلم يرضخ لطلب القوات الفرنسية، بل جرى تحذيرهم من المساس بهؤلاء الثوار.

* يُمكن العودة لكتاب (محمود عبيدات) "العشائر الأردنية تدعم الثورة السورية ضد الفرنسيين" – صادر في عام (2003 عمّان).

ثاني عشر:

الثورة السورية الكبرى ابتداء من 1925:

مع بداية تشكيل الكتلة الوطنية السورية واللبنانية: وهي تجمُّعٌ سياسيٌّ هامٌّ من أجل توحيد صفوف القوى السياسية السورية لمواجهة صلف المندوب السامي (كاترو) والمندوبين الفرنسيين في المحافظات السورية. فإلى جانب التحرك الثوري لكل منطقة في سوريا ابتداءً من ثورة الزوية بقيادة طالب الشرع وعكاش السالم منذ بداية الاحتلال الفرنسي، وثورة إبراهيم هنانو في حلب وكفر تخاريم وجبل الزاوية، وثورة حوران بقيادة (مصطفى الخليلي)، وثورة جبل العرب بقيادة السلطان باشا الأطرش وتوحُّد الدُّروز خلف قيادته، وإلحاقهم الهزيمة بالجيش الفرنسي في (قنوات) وفي (شهبا) و(صلخد) و(السويداء) و(الكفر)، وثورة الغوطة الشرقية في ريف دمشق بقيادة المجاهد حسن الخراط، وثورة دمشق لا سيَّما الميدان والشاغور بقيادة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر (القوات الشاغورية) نسبة لحي الشاغور الدمشقي، والشيخ محمد الأشمر، وآخرين.

فقد تشكلت الكتلة الوطنية لتجميع كل الوطنيين السوريين واللبنانيين ضد الوجود الفرنسي، وتم تشكيل هذه الكتلة من الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وهاشم الأتاسي، وشكري القوتلي، وسعد الله الجابري، ومعروف الدواليبي، وصبري العسلي، وفوزي الغزي، ومفتي سوريا (أبو اليسر عابدين)، وفارس الخوري،

ورزق الله انطاكي، وبعض المشايخ المسلمين والمطارنة المسيحيين. وكان الاتجاه العام نحو تحقيق اتفاقيةٍ مع المحتل الفرنسي للجلاء التام. ورأس هذه الكتلة في البداية السيد عبد الرحمن الشهبندر -قبل اغتياله على أيدي بعض المتآمرين-، ثم هاشم الأتاسي.

وعلى الجانب الآخر: كانت المناطق السورية كلٌّ في منطقته يقوم بما يستطيع لتنظيم هجمات -غير منتظمة- ضد الوجود الفرنسي:

ففي منطقة القنيطرة التي كانت تابعة إدارياً لدمشق كانت عشيرة الفضل التي يقودها أميرها محمود الفاعور وأخيه شامان الفاعور يواجه بالمستطاع القوات الفرنسية، ويعلق تمرده على وجود القوات المحتلة. كذلك كان أنصار المجاهد أحمد مريود في (جباتا الخشب) و(جباتا الزيت)، والمناطق القريبة من القنيطرة يقومون بدور هام وغير منظم. كما ظهر في جبال العلويين المجاهد صالح العلي في قرية الشيخ بدر يعلن التمرد والقتال ضد الفرنسيين ومن يتعامل معهم من العملاء. وفي حماة (فوزي القاوقجي) -أيضاً- وحمص والرقة آل العجيلي، ودير الزور الشيخ محمد العيَّاش، والزعيم شلاش. كل هذه المناطق بدأت التمرد كلٌّ حسب طريقته، وبدون تنظيم محدد. لذا وجدت الكتلة الوطنية باعتبارها الجناح السياسي الهام: أنه لا بُدَّ من توحيد الصفوف، فتم جمع قادة الثورة في المناطق السورية في اجتماع عام تحت قيادة إشراف شكري بيك القوتلي في الأردن، وقد حضر هذا الاجتماع قيادات

المناطق التي تمردت على السلطة الفرنسية، فحضر هذا الاجتماع ثوار الزوية (طالب الشرع وعكاش السالم)، وثوار حوران ممثلة (بمصطفى الخليلي)، وثوار جبل العرب ممثلة بالباشا (سلطان باشا الأطرش)، وثوار دمشق ممثلة بالدكتور الشهبندر والشيخ محمد الأشمر، وآخرين..، وكذلك ثوار حلب وجبل الزاوية.

وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على توحيد مناطق الثورة السورية وأسموها "الثورة السورية الكبرى"، وتسمية الباشا سلطان باشا الأطرش -القائد العام- لهذه الثورة، لما وجدوا فيه من حشد وعزيمة ورغبة عارمة بتوحيد السوريين في ثورة ضد المستعمر، ولما له من عزوة عند أهل الجبل 1925.

ولكن هذه القيادة للثورة السورية كانت معنوية أكثر منها حقيقية؛ نظراً لصعوبة التواصل بين المناطق الثائرة؛ لأن الفرنسيين أعدوا العدة للاستمرار في الاحتلال، وقد فشلت معهم كل المحاولات التي قامت بها الكتلة الوطنية بتوقيع اتفاقية الجلاء، ولكن العمل على توحيد جهود المقاومة يحتاج إلى سهولة الاتصال وسهولة التخطيط للمعارك، في وقتٍ لم تكن الاتصالات ممكنة. كما أن الفرنسيين قد عملوا على تعميم سياسة "فرِّق تَسُدْ" فحاولوا تقسيم البلاد السورية إلى خمس مقاطعاتٍ أو دولٍ، محاولين إغراء الدُّروز بإقامة دولة لهم متجانسة ممتدة من جبل الدُّروز في الجنوب السوري إلى جبل لبنان في (عالية) و(بحمدون) مروراً بمناطق القنيطرة.

لكنَّ الباشا رفض ذلك بشدَّة، وأصرَّ على وحدة بلاد الشام العربية، وأعطى درسًا للمندوب السامي أنَّ ما يقوم به مرفوضٌ جملةً وتفصيلاً. كما أنهم أرادوا أن يقيموا دولة دمشق؛ من أجل كسب ودِّ الدمشقيين -أيضًا- رفضوا، وإقامة دولة حلب فتم رفضها، ودولةٍ للعلويين في الساحل فوافق عليها بعضهم وقامت فعلاً لفترة محدودة، لكنَّ الأغلب الأعمَّ لم يوافق. وهكذا فشل مشروع تقسيم سوريا إلى خمس دول.

ولأنَّ قيادة الثورة ليست مركزية، وليس لها القدرة على ذلك، فتم توحيد التوجهات عند المشايخ والزعماء المقيمين في الأردن بين مدينة الأزرق حيث يقيم الباشا وجماعته وبين ثوار الزوية وحوران حيث يقيمون في المناطق المتاخمة لقراهم (سحم الكفارات) و(المغيّر) في الأردن. وكذلك تواجد شكري بك القوتلي، وجميل مردم بك، وتنقُّلهم بين الأردن والقاهرة كان يشجع هؤلاء الثوار على العمل في مناطقهم. فمنطقة الزوية تواجد هؤلاء الثوار على مشارف وادي اليرموك الجنوبية شمال الأردن وسهولة الانتقال، فقد تضامن معهم العديد من الشباب الأردني من أبناء العشائر وخاصة من الطوالبة والعبيدات والضامن في (إربد)، والملكاوية في (ملكا)، وكان هؤلاء الشباب يقومون بين الفينة والأخرى بشن هجمات بأساليب بدائية ضد التواجد الفرنسي في منطقة الزوية.

وكان للشيخ طالب الشرع وعكاش السالم الدور في تنظيم هؤلاء المجاهدين مع أقرباء الشرع وعكاش السالم.

وقد نشطت الهجمات خلال السنوات من 1925 – 1927، لكن لطول مدَّة مكوث هؤلاء المجاهدين بعيداً عن بيوتهم وأرزاقهم وأهاليهم قد أحدث نوعـاً من السأم، خاصة وأن هؤلاء ليس لديهم أعمال في الأردن (لا زراعة ولا تربية مواشي)، وأن ديارهم وأرزاقهم في قراهم قد نالها ما نالها من تخريبٍ واضطهادٍ للرجال الذين ظلوا في هذه القرى. ونجح المستعمر الفرنسي في استقطاب وجوهٍ جديدةٍ في القرى المجاورة لتنمية ثرواتهم الزراعية والحيوانية والتجارية؛ ليخلقوا واجهاتٍ اجتماعيةٍ جديدةٍ في هذه المنطقة، والتحريض على من قام ضد فرنسا؛ لخلق حالة عامة ضد هؤلاء الذين اعتبرهم الأشقياء الذين يتناطحون مع دولة عظمى كفرنسا. وقد نجحوا إلى حدٍّ ما، إلى أن قامت بعض القرى لأخذ أراضٍ من جيبين والعال من أملاك آل الشرع وآل عكاش السالم بتشجيعٍ من السلطات الفرنسية في المنطقة، خاصةً وأن أصحاب الأملاك هذه موجودون في الأردن، ومن تبقى عبارة عن رجال كبار السن، والعاملين في الحراثة أو في جمع المحصول والأعمال الزراعية الأخرى –وهم في الغالب غير ملاكين– وبالتالي ليسوا مستعدين للدفاع عن أراضي وأرزاق الذين ثاروا ضد المحتل الفرنسي، هذا من جهة. ومن يتصدى منهم تحاسبه السلطة الاحتلالية حسابـاً عسيراً عيونها المنتشرة في المنطقة. ففي قرية مثل جيبين كانت

أملاكها تتجاوز عشرة آلاف دونم أراضي صالحة للزراعة، عدا عن الأراضي المُعدَّة كمراعٍ للماشية، بالإضافة (للحكر) حول البلدة. وقد كان نصيب آل الشرع من هذه الأراضي نحو 85٪ من مجمل الأراضي، والبقية كانت موزعة لآل الشيخ فضيل أبو شومر وبيت الخياط، وآل كيوان وآل الفيش والنواصرة، وآل هزاع -وهم من سكان هذه القرية-. وكان للشيخ طالب الشرع الذي ورث أملاكًا عن أبيه عبد المجيد العبد الخالق وعمه عبد النور -الذي لم يخلف أبناء ذكور- نحو 30٪ من أصل الـ 85٪، وللشيخ خالد الشرع بن عبد الرحمن بن عبد الخالق -أيضًا- مع أخيه قاسم وعبد الله، وولده محمد الخالد الشرع، ورزق الخالد الشرع نحو 30٪ -أيضًا- من أصل 85٪ أملاك لآل الشرع، وبيت السويدان (هلال وبديوي) نحو 10٪ من أصل الـ 85٪، والـ 15٪ الباقية كانت لأحمد الحسين وخليل عبد الوالي الشرع وأخيه عبد العزيز عبد الوالي الشرع.

وكان العاملون في بيت طالب الشرع بين مرابعين وشغِّيلة يزيد عن (80شخص)، وكذا الأمر في بيت خالد الشرع، وأخيه قاسم نحو ذلك. وكان لديهم ثروة من الماشية نحو / 2000/ رأس من الغنم، ونحو أكثر من / 200/ رأس بقر لكلا الدارين، ومن الخيول الأصيلة (الحمدانيات) نحو / 9/ رأس خيل لطالب الشرع، و/ 5/ رؤوس من نفس النوع لبيت خالد الشرع أبو محمد وأخوه قاسم. ونفس الشيء ينطبق على بيت عكاش السالم وأخيه عفاش: فقد كانت لهم ملكية أراضي

واسعة وكبيرة في قرية العال، وكذلك أغنام، وأبقار، وخيول أصيلة، ولديه حوش واسع، ومضاغة كبيرة، وعنده من العاملين في الزراعة والخدمات نحو (80 شخصاً) سواء كانوا من أقاربه أو من أهل القرية. وكذا الأمر للشيخ عبد الكريم الطحان وأخيه محمود: فقد كانت ملكيتهم كبيرة (الجوخدار بكاملها)، بالإضافة لقرية (الرزانيه)، وجزء من قرية (الرفيد)، وهم شيوخ قبيلة النعيم الهاشمية في منطقة الزوية والجولان (كودنه) وحوران، ولهم امتدادات عشائرية في كل أنحاء سوريا.

ولكلِّ ما تقدَّم: فقد كانت لهذه العائلات وجاهةٌ، حيث المعروف عن آل الشرع الهاشمية، بالإضافة لأصولهم وامتداداتها إلى حوران والأردن وفلسطين. فقد اشتهروا بالكرم واستقبال الناس وضيافتهم، ودرجة الكرم كانت معروفة عنهم، وأقاموا علاقات واسعة مع قبائل العنزه، وخاصةً (نوري الشعلان) شيخ مشايخ قبيلة (العنزة، والكواكبة، وولد علي، والمساليخ)، ومع أولاد نوري الشعلان (فرحان، ومحجم، وفواز الشعلان)، حيث ما أن يحل موسم الربيع حتى يأتون لمنطقة الزوية مع حلالهم الكثير العدد من جِمالٍ وأغنامٍ، وينزلوا ضيوفاً أعزَّاء عند الشيخ طالب الشرع والشيخ خالد الشرع. وكذا الامر في قرية العال، وحيتل التي كان من أهلها (قبيلة العاتقي) التي لها نسب مع آل الشرع: حيث تزوج خالد الشرع منهم، وأنجبت له محمد الخالد الشرع ورزق الخالد الشرع والكثير من البنات.

وإذا كنا بصدد الزواج لا بُدَّ أن نشير هنا أن منطقة الزوية بمجمل قراها (كفر الما، حيتل، خسفين، العال، الدير عزيز، عمرة الفريج، وشقيف، وعديسه، والنقيب التي يسكنها أبناء عمومة آل الشرع، وهم: عشيرة الرقيبات، وسكوفيا حيث عشيرة الحراشفه والرحال، وفيق وكفر حارب حيث عشيرة الفواعر والخالدي والعربي، وعيون، والياقوصة، ودبوسيا حيث آل السالم، وبني كنانة الذين كانوا يسكنون في جوف وادي خالد بجانب نهر اليرموك، و(قرية ناب) حيث عشيرة (آل دندش). كل هذه القرى مترابطة وبينهم صلات قربى ونسب وتزاوج، وهؤلاء أخوال هؤلاء، ولا انفصال بينهم. وفي (العال) بالإضافة لعشيرة السلامات توجد عشيرة الهوادي وعشيرة (التر) التي فقدت بعضـًا من رجالها مع بداية ثورة الزوية "ثورة آل الشرع"، وعشيرة الرفاعية -صاحبة الطريقة الدينية المعروفة- وهم قريبون جداً من آل الشرع وآل السلامات، وعشيرة السكافنه، والطبطبي، وآخرين.

أما طالب الشرع فقد تزوج أربع نساء: اثنتان بنات عمه عبد النور بن عبد الخالق الشرع بعد وفاة الأولى، وواحدة بنت عبد الرحمن العبد الخالق بنت عمه وأخت خالد الشرع، وأمونة السالم- أخت عكاش السالم.

أما خالد الشرع فقد تزوج امرأة اسمها فاطمة من عشيرة العاتقي من حيتل، وأنجبت له -كما ذكرنا- ولدان: هما محمد أبو علي ورزق أبو فواز، وزوجة ثانية من آل صالح الشرع وأنجبت له العبد الخالد أبو محمد، والثالثة عيوش السالم أخت

عكاش لم تنجب منه سوى ابنة واحدة هي فاطمة الخالد التي تزوجها أحمد الحسين من عشيرة الجحيشات في كفر الما، وقد كان أحمد الحسين نائبًا في المجلس النيابي لعشرين سنة من 1951 إلى نهاية عهد الوحدة مع مصر 1961.

أما عكاش السالم فقد تزوج من نزهة الشرع، وأنجبت له ولدان هما: شمدين العكاش وتركي العكاش، وأخرى أنجبت له بنات وولدان هما: (أبو عكاش) و(القاضي).

وعليه بعد هذا الاستعراض السريع لأملاك الثائرين من الزوية وحياتهم الجديدة في بيوت الشعر في الأردن، إذ لا زراعة عندهم ولا مواشي ولا تجارة. كان اعتمادهم على محاصيلهم في قراهم التي أصبحت نهبًا لقوى الاستعمار الفرنسي والعملاء، وتراجع العمل بالزراعة وهو موردهم الأساسي، ونفوق أرقام من حيواناتهم سواء من الغنم أو من البقر والجِمال والأصايل (الخيل)؛ نظراً لطول المدَّة التي ابتدأت مبكرة منذ العام 1920، وهؤلاء الشيوخ كانوا عفيفي النفس لا يقبلون الأُعطيات والهدايا التي تشعرهم أنهم بحاجة إليها. ومع أن العشائر الأردنية لم تقصر معهم في البداية، ولكن لطول السنين بدأ الملل، وبدأ الانحسار الاقتصادي والعز الذي كانوا يعيشون فيه، ولكن الجبروت والقوة وطول النَّفَس كان ديدنهم هم وجميع الثوار من المناطق الأخرى.

وتم تشكيل حكومة* في إربد جمعت مجموعة من الثوار السوريين، سميت حكومة (السوادي)، وقد تم اختيار أحمد مريود عضواً في هذه الحكومة، و-أيضًا- طالب الشرع وعكاش السالم. ولكن هذه الحكومة لم تُفعَّل لأسباب ذاتية وموضوعية: حيث كانت حكومة الأمير عبد الله -حكومة أبو الهدى- المعترف بها، وقد آثر أحمد مريود أن يغادر إلى العراق، حيث احتضنه نادي المثنى العراقي العروبي، وقد صاهر رئيس النادي السيد سعيد ثابت أبو إياد، حيث تزوج السيد من أخت الثائر أحمد مريود، وانسحب طالب الشرع وعكاش السالم. وبدأت المضايقات للثوار من قِبَلِ السلطة الفعلية في إمارة شرق الأردن -وهم الإنجليز- في الوقت الذي بدأت الكتلة الوطنية محادثات مع السلطات الفرنسية في باريس لتوقيع اتفاقية لمنح الاستقلال لسوريا ولبنان وتحقيق الجلاء. فكانت أول اتفاقية في 1932، ولكن لم يقل بها السوريون، واعتبروها ناقصة. ووقعت اتفاقية في عام 1936 وقد أُلغيت من قِبَلِ البرلمان الفرنسي، فتم اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وبالتالي تم عدم موافقة السوريين على هذه الاتفاقية -أيضًا- لأنها تنتقص من السيادة السورية.

* المصدر السابق. (ويمكن العودة إلى كتاب محمود العبيدات حول دعم الأردن للثورة السورية منشور في دمشق).

واعتباراً من عام 1927: اشتدَّ أُوار الثورة السورية في المناطق السورية، وكان أهمها: ثورة الغوطة الشرقية بقيادة البطل حسن الخراط، حيث جمع من يَوَدُّ مقاتلة الفرنسيين في الغوطة، وخاصة من زملائه (المخضرمين)، فهو كان إنسانـًا بسيطـًا ولكنه وطنيٌّ. وقامت ثورة جبل العرب وحققت انتصارات مجيدة ضد الفرنسيين، وفي حوران كانت معركة المسيفرة التي أصابت العدو بالإحباط، وكذا الأمر في جبال العلويين، وفي دمشق الشيخ الأشمر، وفي القنيطرة حيث عشيرة الفضل بقيادة الشيخ محمود الفاعور، وفي دير الزور والجزيرة ثورة بقيادة الزعيم شلاش ومحمد العيّاش، وفي حلب وحماة وحمص والعشائر العربية بقيادة (فوزي القاوقجي).

وفي العام 1933: أدرك المحتل أنه هالك لا محالة، وأن الطريق أمامه هو اللجوء إلى الحوار مع الباشا سلطان الأطرش، عن طريق ابن عمه فهد الأطرش، والكتلة الوطنية بالاتصال بهاشم الأتاسي وشكري القوتلي. عندها أصدر عفواً عامـًا عن جميع المطلوبين والمحكومين للعودة إلى مناطقهم داخل سوريا بدون تطبيق الأحكام والعقاب والمطاردة، وهذه كانت محاولة من المحتل لاستقطاب الثورة والحدِّ منها، وإعادة السوريين، وما درى أنها سوف تشتعل أكثر.

ثالث عشر:

صدور العفو، وعودة الثوار إلى قُراهم في الزوية 1927:

عاد بعض من ثوار الزوية؛ لأن منهم من توفاه الله، مثل: قاسم عبد الرحمن الشرع، ومحمد خالد الشرع، وعفاش السالم، وآخرين. ومنهم فضَّل البقاء في الأردن، وخاصة من عشيرة النعيم، ومصطفى الخليلي حيث سكن في بلدة (المغيّر) وعاش فيها ومات فيها، ولا زال أولاده وأحفاده هناك، وقد اكتسبوا الجنسية الأردنية، علماً أن أقاربهم يعيشون في درعا وبينهم صلات قربى وتزاور بين الحين والآخر. فضلاً أن الكثير من أبناء جبل العرب استقروا في الأردن في مدينة الأزرق، وفي مناطق أخرى.

وعاد إلى قرية (جيبين) الشيخ الحاج طالب عبد المجيد الشرَّع وأولاده وعياله معه، ونذكر من أولاده: عبد المجيد الذي بقي في القرية يدير مصالح والده، وقد تعرض للتعذيب والتنكيل من مجموعات عساكر الفرنسي، وتعرضت دار والده تماماً كما حدث مع الشيخ خالد عبد الرحمن الشرع -أخو قاسم- وأب لمحمد خالد الشرع، وقد لاقى هذا الشيخ المسن الكثير من أصناف التعذيب والتخريب لأرزاقهم.

وبعد عبد المجيد كان أولاد الشيخ طالب الشرع معه في الأردن (عبد الكريم، ومحمد فوزي، وعبد العزيز) وكانوا في مرحلة الشباب -حديثي السن- وبناته وزوجاته.

وأما قاسم عبد الرحمن الشرع فقد أنجب خمسة من الأبناء من زوجتين -لكنهم ماتوا وهم أطفال- ولم يُرزق إلّا ببنت واحدة جاءت بعد وفاته بشهرين، وهي أم كاتب هذا الكتاب.

وأما محمد خالد الشرع فقد أنجب ثلاثة أولاد وبنت من زوجته من آل الحسين الجحيشات -لكنهم ماتوا- ما عدا (علي) وهو الوحيد لأبيه وهو أب لكاتب هذا الكتاب.

وعاد أيضـاً هلال السويدان الشرع، الذي لم يُنجب سوى بنت واحدة، وخليل عبد الوالي لم يُنجب فيما بعد إلّا (محمد) الطالب في كلية العلوم، ومات وهو في السنة الثالثة في الكلية، وبقيت عنده بنت واحدة.

وحسين الأحمد الحسين الشرع، وقد أنجب ولدان، هما: عبد الحميد وياسين الشرع وهو أبو العميد أحمد الياسين الشرع المتقاعد.

وعاد عكاش السالم، وقد أنجب ثلاثة أبناء، هم: شمدين العكاش، وتركي العكاش، وخالهم طالب الشرع، وأبو عكاش، ومجموعة من البنات.

وعبد الكريم الطحان ومحمود الطحان عادا إلى الجوخدار وصيدا والرفيد، وهما من سكان هذه المنطقة الواقعة على تقاطع الطريق المؤدي إلى درعا والقنيطرة، وعشيرتهم ممتدة إلى شرق وجنوب وشمال القنيطرة في كودنا والخشنية ومناطق أخرى.

المهم: عاد هؤلاء الثوار -ولكن تحت الرقابة الفرنسية لهم- بعد غياب سنين طويلة عن قراهم، فوجدوا أن التغيير الكبير نحو الأسوأ في حياتهم: إذ دبَّ الفقر في هذه العائلات التي فقدت الكثير من ثرواتها بفعل فاعلٍ من القوة الاستعمارية التي مارست أدواراً تخريبيةً في بيوت هذه العائلات، وحرَّضت آخرين على تحدِّي هذه العائلات. وبدأوا عمليات الترميم لبيوتهم المهدمة ولزراعاتهم، ولاذوا بالصبر على ما حلَّ بهم -ولكن ظلوا مجال تقدير من جميع الأهالي في هذه المنطقة-، ولكن قوَّتهم الاقتصادية أثَّرت كثيراً على قوَّتهم السياسية، سيَّما وأنَّ المستعمر لا زال جاثمًا على بلادهم، وأنَّ أي تحرُّك منهم محسوب عليهم. ولم يعد لهم من العزوة القوية التي كانت قبل تلك السنين السابقة: حيث كان قاسم الشرع ومحمد خالد الشرع القوة الأساسية في وجه من تُسَوِّلُ له نفسه المساس بهم. فلاذوا بالتوجه نحو إعادة دورة الحياة من جديدٍ في استثمار أراضيهم الواسعة وزراعتها وَجَنْيِ محاصيلها، والوقوف من جديد على أرجلهم بعد سنين الشقاء التي لحقت بهم.

وتوفي خالد العبد الرحمن الشرع في العام 1933، وكان سبقه ابنه محمد الخالد الشرع، وقد خلَّف ولد واحد -وكان عمره ثلاثة عشر عامًا- فكفله عمه أخو أبيه العبد الخالد الشرع، وأخذ يرعى مصالحه. ولكنَّ علي بن محمد الخالد كان متأثراً بأخواله آل الحسين الجحيشات الذين لهم أراضي واسعة في ثلاثة قرى، وهم

إقطاعيون ولديهم مئات الرؤوس من الأغنام والأبقار، والعاملين عندهم، وهم على قدرٍ كبيرٍ من القيمة المادية والمعنوية؛ لأنهم لم يشاركوا بالثورة.

لكن هذا الشاب أراد أن يقلدهم فوقع في مطباتٍ كثيرةٍ ولم يكن يسمع لكلام والدته ولعمه أبو محمد العبد الخالد وعمه الآخر رزق الخالد الشرع. فحصلت خلافات مع عمه أبو فواز رزق الخالد الشرع، ولأنَّ الشاب الصغير السن والحديث لا يُقدِّر قيمة الثروة التي ورثها عن أبيه عن جده خالد الشرع، فكان أن ارتكب أخطاء كونه لم يكن له علم أو عمل في الزراعة وفي التجارة: حيث أراد أن يزرع القطن ففشل فيه وخسر كثيراً، وافتتح متجراً بالتعاون مع تجارٍ من الميدان في دمشق فقامت عصابة حرامية من الأردنيين والسوريين (عصابة بن عقيله) فسرقت الدكان في ليل، وصرف من المال الكثير للمحامين -وكان محامي آل الشرع السيد (فوزي الغزي) الذي تقلَّد منصب رئيس الوزراء عدة مرات- والمطاردة لهذه العصابة التي أخذت تهدِّده بالقتل وتعمل على الثأر منه؛ لأنه أصرَّ على متابعتهم في الأردن عن طريق عشيرة الطوالبة وأقاربهم من الرقيبات المقيمين في الأردن، وخسر جرَّاء ذلك الكثير من المال والحلال -وكان المحامي الثاني لآل الشرع الأستاذ (فايز الغصين)-.

أما طالب الشرع فقد كبر أولاده: عبد الكريم، ومحمد فوزي، وعبد العزيز، وبعدئذٍ أحمد راتب، فكانوا خير سندٍ له، وأشرفوا على إعادة أرزاقهم ورعايتها. وظل الشيخ طالب الشرع له مهابةٌ وتقديرٌ، وهو صابرٌ محتسبٌ لم يشكُ أمره إلَّا لله تعالى.

أما السلطات الفرنسية: فقد بدأت من العام 1937 تنفيذ نظام السخرة للعمل في رصف الطرقات وحفرها وتصليحها. وهذا النظام تم تطبيقه في عموم سوريا، وكان على كل شابٍّ بالغٍ راشدٍ أن يعمل لأربعة إلى خمسة أيام في الأسبوع، في المشاريع التي تخطط لها السلطات الفرنسية بلا أجرٍ، ومن يتخلف يسلطون عليه ما يسمون (بالمتطوعة) وهم لهم السلطة المطلقة لسوق هؤلاء شباب للعمل بالسخرة، ومن يتخلف عن دوره ينهالوا عليه بالضرب والفلقة ويعذبونه عذابًا شديداً، وتزيد الغرامة عليه للعمل أكثر من المدة المقررة.

هذا نظام السخرة تفاقم كثيراً بعد أن بدأت الحرب العالمية الثانية 1939، وثم الإضافة عليها نظام "الميرة" التموين: أي مصادرة الحبوب، والطحين، والشعير، والحمص، والعدس، والفول، وكل ما يختزنه الفلاح لحاجاته للبذار وللأكل والطعام له ولأسرته. فتقوم السلطات الفرنسية بالبحث والتَّحرِّي في بيوت الناس ومصادرة كل ما تَقَعُ أيديهم عليه؛ بحجة تموين الجيش في الجبهات، وكأنَّ المستعمرات مطلوبٌ منها تقديم نتاج عملهم ومحاصيلهم للقوة المحتلة والجيوش المتحاربة.

وقد كان نظاما "السخرة والميرة" كفيلان بإحداث ألف ثورةٍ ضد المستعمر، لكنَّ البلاد خضعت لحكم الطوارئ، وأصبحت كل البلاد تحت السيطرة العسكرية لهذه القوى الاستعمارية.

في حكم الطوارئ تذهب كل التظلمات والقضاء؛ لأن الكلمة العليا للحرب الدائرة بين دول التحالف والنازية الهتلرية. ومن جميل الصدف أن يقوم الجيش النازي الألماني باحتلال فرنسا وباريس خلال أيام، ويستسلم الجنرال (بيتان) للنازية، وتُحَلُّ الحكومة الفرنسية، وتتولى حكومة جديدة معينة من قِبَلِ المحتل النازي (وهي حكومة فيشي) تسير الأمور. فتم الإجهاز على سلطة المحتل الفرنسي في بلاده وفي المستعمرات، وأقام الجنرال (ديغول) في لندن (حكومة فرنسا الحرة) تحت الهيمنة الإنجليزية والأمريكية.

وما أن جاءت 1943: حتى بدأ الوطنيون السوريون ممثلين برجالات الكتلة الوطنية بالضغط لتحقيق الاستقلال التام، وتحقيق السيادة السورية مستغلين الوضع غير العادي في فرنسا المحتلة، بالتنسيق مع بريطانيا العظمى التي رأت في الفرنسيين حليفاً خائباً سقط خلال ساعات من الهجوم الألماني النازي عليهم، بالرغم من خط الدفاع الشهير (خط ماجينو)، واستسلام الجنرال (بيتان) للنازي، واحتلال باريس. لذا بدأ الضغط السوري يجد صداه عند البريطانيين: فاجتمع الرئيس شكري القوتلي مع تشرشل رئيس الوزراء البريطاني في السويس، وطلب منه أنه آن الأوان أن تستقل سوريا وتحقق سيادتها، وكذلك فعل جميل مردم بك، وفارس الخوري رئيس الوفود التي كانت تفاوض الفرنسيين.

وعمليًا تم استقلال سوريا ولبنان ابتداءً من 1943* مدعومًا بموقفٍ بريطانيٍّ قويٍّ، ولكن تأجل ذلك إلى ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية 1945. وفي 17 نيسان 1946 كان الجلاء التام عن سوريا بدون أية اتفاقيات تحدُّ من السيادة، وساعدة على ذلك الجنرال ديغول رئيس (حكومة فرنسا الحرة) الذي انتقل إلى باريس ليرأس الجمهورية الفرنسية الجديدة بعد طرد الاحتلال النازي بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، ودحر النازية والفاشية الإيطالية.

* يمكن العودة إلى كتاب السيد نصوح بابيل –نقيب الصحافة السورية آنذاك– حول دور القوى الوطنية في تحقيق الاستقلال.

رابع عشر:

الجلاء في 17نيسان 1946

وتحقق الجلاء التام لسوريا بعد استعمارٍ دام من 1920 – 1945، (25) عاماً من الصراع بين الثوار السوريين وبين المستعمر، ولم يركن الشعب في جميع مناطقه، سواء في الجنوب حيث منطقة الزوية والجولان وحوران، وفي حلب، وفي دمشق وغوطتيها، وفي حمص، والقلمون، وحماة –ولا ننسى قيادة فوزي القاوقجي ابن طرابلس والذي استقر في حماة وشكل قوة لمقاومة الاستعمار الفرنسي من أهل حماة والعشائر العربية شرق حماة، وفي إدلب وجبل الزاوية حيث انطلقت الثورة من (كفر تخاريم) بقيادة البطل إبراهيم هنانو وامتدت إلى حلب، وفي ريف حلب حيث العشائر العربية، وفي دير الزور حيث القائد محمد العيَّاش الذي قاد من خلال عشيرته الثورة ضد المحتل، وفي تدمر وكل المناطق السورية وحتى اللبنانية في عنجر، وحاصبيا، وراشيا، وطرابلس والضنيه، وبعلبك والجنوب. وكان كان الشهيد (أدهم خنجر) أول من فجَّر الثورة ضد المحتل الفرنسي الذي طارده وحكم عليه بالإعدام، فتنقل من لبنان إلى منطقة الجولان –حتى لم يستطع أحمد مريود حمايته–؛ لأنه كان يقود ثورةً مع الأمير الفاعور شيخ عشائر الفضل العربية، فلجأ إلى (القريا) موطن الباشا سلطان باشا الأطرش –الذي كان أيضاً مطارداً، وكان في منطقة الأزرق الأردنية–، وقام الجيش الفرنسي باعتقاله وسط صيحات النساء

والمناشدة للباشا (أن العدو اعتقل المستجير بك)، ولكنهم أخذوه إلى لبنان، وتم إعدامه -رحمه الله-.

إذاً: تحقق الاستقلال السوري واللبناني في وقتٍ واحدٍ، وتحققت السيادة لهذين البلدين بشكلٍ تامٍّ. ويمكن تقسيم الانتداب الفرنسي على سوريا إلى عدة مراحل بدءاً من تقسيم البلاد عام 1920 فور دخول قوات (غورو) إلى دمشق وإخضاعها للحكم المباشر في الدولة السورية عام 1925، ثم قيام الثورة السورية الكبرى، والتي أسفرت عن اضطرار السلطة المحتلة لإقامة الجمعيات التأسيسية التي وضعت دستور عام 1930 الذي أعلنت بموجبه الجمهورية السورية الأولى. وقد قام السوريون بإضرابٍ شاملٍ سمي "الإضراب الستيني" في أواخر عهد الرئيس محمد علي العابد، الداعي إلى وحدة البلاد، وسميت معاهدة الاستقلال 1939 مع بداية الحرب العالمية الثانية (بين الدول التحالف) وألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية، إلَّا أن فصل لواء اسكندرون والاحتجاجات التي رافقت ذلك، تم إيقاف العمل بدستور 1930، وأعاد البلاد للحكم العسكري المباشر؛ بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية 1939، وقد خضعت البلاد إلى (حكومة فيشي) التي أقامها النازيون بعد احتلال باريس (1941) حيث تمت سيطرة الحلفاء. وقام الجنرال (ديغول) بتشكيل الجبهات الوطنية الفرنسية التي جمعت جميع القوى السياسية في فرنسا لمقاومة المحتل النازي، وترأَّس ما سُمِّيَ آنذاك جيش فرنسا الحرة، وكان الرئيس

محمد علي العابد قد سلم الرئاسة للسيد هاشم الأتاسي (1939). وبعد عودة شكري القوتلي تسلم الرئاسة فنشطت الحركة الوطنية عامة بزعامات مختلفة، وأنشأت البرلمان، وكان البرلمان تم انتخابه في ظل الوجود الاستعماري الفرنسي والبريطاني، وقد نجح الرئيس القوتلي وتسلَّم الرئاسة من 17/ 8/ 1943حتى انقلاب الزعيم حسني الزعيم -رئيس الأركان- على أول حكومة في 30/ 3/ 1949، وقد وضع العلم السوري في العام 1932 في عهد أول رئيس منتخب، وبقي كذلك حتى قيام الوحدة السورية المصرية في 22/ 2/ 1958 فاستبدل بعلم الوحدة الذي هو علم سوريا حالياً.

والثورة السورية الكبرى في عام 1925 جاءت امتداداً للثورات المحلية التي ابتدأت بمبادراتٍ مناطقيةٍ رفضاً للاحتلال والاستعمار الفرنسي في أوائل 1920 ومنها ثورة الزوية بقيادة طالب الشرع وعكاش السالم، وثورة إبراهيم هنانو التي انطلقت من كفر تخاريم، وثورة فوزي القاوقجي ابتداءً من حماة، وثورة الزعيم شلاش ومحمد العيَّاش في دير الزور وريفها، وثورة حسن الخراط في غوطة دمشق، والثورة الدمشقية في حي الميدان برئاسة (الشيخ محمد الأشمر)، وحي الشاغور بقيادة الدكتور (عبد الرحمن الشهبندر)، فضلاً عن تحرك السياسيين السوريين لتشكيل "الكتلة الوطنية" برئاسة الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ثمَّ هاشم الأتاسي وشكري القوتلي، وسعد الله الجابري، وجميل مردم بك، ولجوء معظم هذه القيادات للأردن ومصر في الفترة

من 1920 إلى 1936، وقد استطاعت المقاومة السورية في المناطقية زعزعة السياسة الفرنسية وخاصة بعد قرار السلطات الفرنسية تقسيم سوريا إلى خمس دول قُوبِلَ بالرفض من جميع القوى المقاومة والمطالبة بتوحيد سوريا الكبرى. وبقيت هذه الثورة بزخمها وقوتها مستمرة حتى جلاء القوات الفرنسية وتحقيق الاستقلال التام في سوريا ولبنان في 17 نيسان 1946.

– وقد بدأت البذور الأولى لتوحيد البلاد السورية في زمن حكم الملك فيصل: حيث تم تشكيل مجلس نواب* مؤلف / 69/ نائبًا يمثل جميع المناطق السورية كما يلي:

1_ تاج الدين الحسيني، وفوزي حقي العظم والد السياسي السوري الشهير خالد العظم.

2_ إبراهيم هنانو ممثلاً عن قضاء حارم.

3_ سعد الله الجابري، ورضا الرفاعي، ومرعي باشا الملاح، والدكتور عبد الرحمن الكيالي ممثلين عن حلب.

4_ حج فاضل العبود ممثلاً عن دير الزور ومنطقة وادي الفرات.

5_ حكمت الحراكي ممثلاً عن منطقة المعرة.

6_ عبد القادر الكيلاني، وخالد البرازي ممثلين عن حماة.

---

* المصدر: ويكيبيديا.

7_ أمين الحسيني، وعارف نجاتي ممثلين عن القدس.

8_ سليم علي سلام، وعارف النعماني، وجميل بيهم، ممثلين عن بيروت.

9_ رشيد رضا، وتوفيق البيسار، ممثلين عن طرابلس. عشرة

10_ سعيد طليع، وإبراهيم الخطيب، ممثلين عن جبل لبنان.

11_ الأمير فاعور، وأحمد مريود، وطالب الشرع، وعكاش السالم، ممثلين عن حوران والجولان.

وتم انتخاب هاشم الأتاسي رئيساً لهذا المؤتمر، ومرعي باشا الملاح ويوسف الحكيم نائبين للرئيس. وقرر المؤتمر رفض اتفاق فيصل _ كليمنصو، والمطالبة بوحدة الأراضي السورية واستقلالها، وقَبول انتداب أمريكا وبريطانيا، ورفض الانتداب الفرنسي، ولكن على أن يكون مفهوم الانتداب هو المساعدة الفنية فقط.

إذاً: هذه المقدمات الأولى لوحدة الأراضي السورية كاملة، فكيف يمكن للشعب السوري أن يقبل أن تتقزم الدولة السورية إلى مقاطعات حسب تصور المستعمر الفرنسي. وعليه فقد ثار الشعب ليواجه هذا المخطط المرسوم من قِبَلِ المحتل للبلاد السورية.

وقد قرر المؤتمر السوري (المجلس الوطني السوري) ما يلي*:

1_ استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية استقلالاً تامـًا.

2_ اختيار سمو الأمير فيصل بن الحسين ملكـًا دستوريـًا على البلاد.

3_ النظام السياسي ملكي دستوري.

4_ تعيين حكومة ملكية مدنية، وتم تعيي علي رضا الركابي رئيسـًا، ويوسف العظمة وزيراً للدفاع، وتحويل اللغة الرسمية من التركية التركية إلى العربية، وإلغاء التعامل بالعملة التركية واستبدالها بالجنيه المصري، ثم أصبح التعامل بالدينار السوري.

5_ رفض وعد بلفور الصهيوني في 2 تشرين الثاني 1917، ومنع هجرة اليهود إلى فلسطين.

6_ رفض الوصاية البريطانية والفرنسية على العرب.

وقد رفض الحلفاء الاعتراف بالدولة العربية الجديدة، وقرروا خلال مؤتمر (سان ريمو 1918) -المنعقد في إيطاليا- تقسيم البلاد إلى أربع مناطق تخضع بموجبها سوريا ولبنان للانتداب الفرنسي، والأردن وفلسطين للانتداب البريطاني.

---

* المصدر السابق.

- وقد رفضت الحكومة العربية قرارات مؤتمر (سان ريمو)، وأبلغوا الحلفاء بذلك بين 13و21 أيار 1920، وكانت الأصوات تتعالى للتحالف مع (أتاتورك)، أو الثورة البلشفية في روسيا.

وقد زحف (غورو) على دمشق، وجرت معركة في ميسلون 1920 في 24 تموز، واستشهد وزير الدفاع البطل يوسف العظمة، وسقطت الحكومة العربية، وتم طرد الملك فيصل من سوريا. وكان هدف المحتل تمزيق الوحدة السورية، فسعى لإقامة كيانات مستقلة هي:

1. دولة دمشق 1920.
2. دولة حلب 1920.
3. دولة العلويين 1920.
4. دولة لبنان الكبير 1920.
5. دولة جبل الدُّروز 1921.
6. لواء اسكندرون المستقل 1921.

لذلك كان واجباً على السوريين ان يتحركوا لمناهضة الاستعمار الجديد وكسر إرادته، فكان اندلاع الثورات في جميع الأقاليم السورية:

1. رفضاً للاحتلال الفرنسي وسعيهم للاستقلال.
2. رفض تمزيق سوريا إلى عدة دويلات.
3. الضرر الذي لحق بالتجارة السورية جرَّاء الانتداب الفرنسي.

ويرى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر أن هذه الأسباب هي أهم الأسباب لقيام الثورات في الأقاليم السورية. وكان من أبرز مطالب الثورة السورية:

1_ وحدة البلاد السورية بساحلها وداخلها، والاعتراف بدولة سوريا عربية مستقلة استقلالاً تاماً.

2_ قيام حكومةٍ شعبيةٍ تجمع المجلس التأسيسي لوضع دستورٍ على أساس وحدة الأمة وسيادتها.

3_ سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتشكيل جيش وطني.

4_ تأكيد مبادئ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان في الحرية المساواة والإخاء.

وقد أحكم الجنرال غورو السيطرة والحكم بيدٍ من حديدٍ على سوريا، وعليه فقد بدأ التصدي لتغوُّل القوات الفرنسية في كل المناطق السورية، وكانت البداية من منطقة الزوية في آب 1920، وفي حارم -أيضاً-، وفي جبل العرب الذي دخل القتال بعد اعتقال (أدهم خنجر) من بيت سلطان الأطرش. وكان الدكتور (عبد الرحمن الشهبندر)* سبَّاقاً لتشكيل أول نواة للثورة من حي الشاغور، وتزويده للمجاهدين في الغوطة بقيادة حسن الخراط بالتوجيهات. هذه هي سوريا المقاومة من يومها، والمقاومة جيلاً بعد جيلٍ وكابراً عن كابرٍ.

---

* نصوح بابيل (مجموعة مقالات عن استقلال سوريا) منشورة في جريدة الشرق الأوسط 1986.

ويروي سلطان باشا الأطرش لصحيفة ألمانية موجزاً عن البطولات التي قامت بها الثورة السورية فقال: لا يوجد على هذه الأرض إلّا وقلبته حوافر خيلنا، ولا توجد حبة تراب لم تُرْوَ بدماء الشهداء، ولكل مجاهدٍ في سوريا قصصٌ كثيرةٌ من البطولة والفداء، وليست قصة واحدة. وفي كتاب *(أحداث الثورة السورية الكبرى كما سردها سلطان باشا الأطرش): أنَّ ثوار الجبل وثوار الغوطة يقاوموا لفك أسر النساء والأطفال وكبار السن من أهالي الجولان الذين ساقهم حلفاء فرنسا إلى منطقة موحلة تسمى (نقعة جمرا)، استعاد الثوار في إقليم الزوية والجولان معنوياتهم، وبدأوا يفتكون بأعدائهم. ويضيف: أن من أكثر المشاهد إيلامـًا غوص الأطفال والنساء بالأوحال، وتلوث جروح المصابين بالطين، وأنَّ أُمَّـًا قُتلت برصاص الفرنسيين فاقترب منها أحد أقاربها ليأخذ طفلها عن صدرها، فهبَّ يدعو الرجال وينشدهم وهو يصيح: هذا الطفل يرضع حليبـًا ممزوجـًا بالدم، وقد ثأروا لهذا المنظر.

* المصدر: أحداث الثورة السورية (دار طلاس 2008).

خامس عشر:

وهذه نخبة من قادة الجهاد في الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي:

1. إبراهيم هنانو، من كفر تخاريم.

2. محمد عيَّاش الحاج، من دير الزور.

3. طالب الشرع، من الزوية.

4. عكاش السالم، من الزوية.

5. حسن الخراط، من غوطة دمشق.

6. القائد فوزي القاوقجي، من حماة.

7. أحمد مريود، من القنيطرة (جباتا الخشب).

8. الشيخ صالح العلي (الشيخ بدر) اللاذقية.

9. الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، دمشق.

10. الشيخ محمد الأشمر (الميدان) دمشق.

11. سلطان باشا الأطرش، من (القريا) السويداء.

- **رؤساء الحكومة الجديدة أو الدويلات*، من 1920 – 1943:**

– علاء الدين الدروبي (من 28 تموز 1920 إلى 21 آب 1920)، وتم قتله في حوران.

– جميل الآلشي (من 4 أيلول 1920 إلى تشرين الثاني 1920).

الرؤساء:

- صبحي بركات (28 حزيران 1922 إلى 1 كانون الثاني 1925).

رؤساء الدولة:

- أحمد نامي (ثمانية وعشرون 28نيسان 1926إلى 15 شباط 1928).

- تاج الدين الحسني (15 شباط 1928 إلى 19تشرين الثاني 1931).

- ليون سول مياك (19 تشرين الثاني1931 إلى 11حزيران 1932).

- محمد علي العابد (من 11 حزيران 1932 إلى 28 كانون الثاني 1936).

- هاشم الأتاسي (من 21 كانون الثاني إلى 7 تموز 1939) (الكتلة الوطنية).

المفوضون السامون:

- هنري غورو (في 17 أبريل 1920 إلى تشرين الثاني 1922).

- روبرت دي كاكس (من تشرين الثاني 1922 إلى نيسان 1924).

- ماكسيم ويفان (من نيسان 1923 إلى تشرين الثاني 1925).

- موريس بول ساراي (من تشرين الثاني 1924 إلى كانون الأول 1925).

- هنري بونصو (من آب 1926 إلى أيلول 1933).

- كونت دامين دو مارتيل (من تموز 1933 إلى حزيران 1939).

- جان شياب (من تشرين 1940 إلى تشرين 1940) و(مات) (قتل في هجوم مسلح).

- هنري فيرناند دينتز (من كانون الأول 1940 إلى حزيران 1941)، وكان ممثلاً لحكومة فيشي.

- جورج كاترو (من حزيران 1941 إلى حزيران 1943).

- جين هليو (من حزيران 1943 إلى تشرين الثاني 1943).

- يافيس تشاتيغنيو (من تشرين الثاني 1943 إلى حزيران 1944).

- إتين بول إيميل (من حزيران 1944 إلى أيلول 1946).

---

* المصدر: الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان (ويكيبيديا).

وقد بلغ عدد قتلى الثورة السورية الكبرى (4248)* موزعين على المحافظات السورية:

315 شهيد (حلب وإدلب).

331 شهيد (اللاذقية وطرطوس والساحل).

731 شهيد (دمشق والغوطتين).

150 شهيد (حماة).

250 شهيد (حمص، النبك، القلمون).

71 شهيد (دير الزور والجزيرة).

34 شهيد (درعا).

35 شهيد (الزوية والجولان).

2064 شهيد (جبل العرب).

267 شهيد (إقليم البلان: راشيا مجدل شمس).

ومن الملاحظ أن جبل العرب قدَّم العدد الأكثر من الشهداء 2064 من أصل 4248، علماً أن هذا الرقم غير دقيق، فالشهداء أكثر.

* المراجع: 1_ علي العبد الله (دروس من الثورة السورية) مقالة منشورة في جريدة المدن الإلكترونية.

2_ منير الحمش (العرب في مواجهة مخاطر التقسيم) مقالة منشورة في سوريا (القيادة القومية).

سادس عشر:

نبذة عن حياة قادة الثورة السورية 1920 – 1945:

1_ سلطان باشا الأطرش، تولد 5 آذار 1891، توفي في 26 آذار 1982.

أولاده: 1. منصور الأطرش.

2. منتهى الأطرش.

3. ذوقان الأطرش.

2_ عبد الرحمن الشهبندر، من حي الشاغور من دمشق، تولد 1889، تم اغتياله 1936.

3_ حسن الخراط، قائد ثورة الغوطة الشرقية في دمشق، تولد 1861، توفي في 25 كانون الأول 1925، وقد استشهد في المعركة عن عمر بين 63 – 64سنة.

4_ نسيب البكري 1888، توفي في 1966، وهو سياسي وزعيم ومجاهد وطني سوري.

5_ الرئيس بهيج الخطيب.

6_ السيد لطفي الحفار (اقتصادي سوري مؤسسة أكثر من مشروع سوري) (جر مياه الفيجة إلى دمشق).

7_ هاشم الأتاسي، الميلاد 1888، توفي في 1966 (عن عمر 77 – 78سنة).

8_ ناظم القدسي.

9_ فوزي باشا البكري.

10_ إبراهيم هنانو.

11_ يوسف السعدون -قائد عمليات أنطاكيا وعموم لواء اسكندرون- وهو عسكري سوري.

12_ عمار البيطار وفي منطقة الحفة التابعة لمدينة اللاذقية.

13_ نجيب عويد في منطقة حلب.

14_ مصطفى حج حسين في جبل الزاوية.

وقد أعلن إبراهيم هنانو الثورة في 1919 قبل الانتداب على سوريا؛ لأنه استشعر أن فرنسا قادمة، وثورة الشمال هي البداية للثورة السورية.

15_ طاهر الكيالي (من إدلب).

16_ عبد الله عمر.

17_ عز الدين القسام (من جبلة).

18_ طالب الشرع بن عبد المجيد، تولد 1865، قائد ثورة الزوية (آل الشرع) (1920)، توفي في عام 1956 (الزوية).

19_ عكاش السالم، تولد 1889، توفي في عام 1954(الزوية).

20_ قاسم عبد الرحمن الشرع، تولد 1890، توفي في عام 1925(الزوية).

21_ محمد الخالد الشرع، تولد 1899، توفي في عام 1932 (الزوية).

22_ أحمد مريود، تولد 1885، توفي في عام 1936 (جباتا الخشب).

23_ الأمير محمود الفاعور شيخ الفضل 1883، توفي في عام 1973 (واسط الجولان).

24_ فخري بك البارودي (دمشق).

25_ ثور الدندشي (عشرة الداندااشة في تلكلخ بقيادة عبد الكريم الدندشي).

إذاً: ما نلحظه أن معظم المناطق السورية قد ثارت ضد المستعمر، بعضها أخذت حظاً في التعريف بها وربما تضخيمها، والبعض الآخر منسية أوتناسوها؛ لأسباب نستدل عليها مما تقدم، ويظهر ذلك بوضوح بُعيدَ تحقيق الاستقلال لسوريا في 17 نيسان 1946، وما تلا ذلك من تشكيل الدولة السورية.

سابع عشر:

المقدمات الأولى لتحقيق الجلاء عن سوريا

عندما نتكلم عن استقلال سوريا، نلاحظ أنه مرَّ بمراحل متعددة: [1] حيث أعلن المؤتمر السوري العام يوم 8آذار 1920 بعد سقوط الدولة العثمانية، ومبايعة فيصل بن الحسين ملكـًا، وإعلان المملكة العربية السورية بشكل رسمي. والثانية [2] تمت يوم 28 أيلول 1941 بعد سيطرة الحلفاء على سوريا خلال الحرب العالمية الثانية، وأُعلن على إثرها تاج الدين الحسني أول رئيسٍ لسوريا المستقلة، خلافـًا للاستقلال الأول. لكنَّ هذا الاستقلال قُوبِلَ ببرود في سوريا، لا سيَّما مع استمرار الكثير من السلطات تابعة للمفوضية الفرنسية. وقد صرح رجال المفوضية الفرنسية بعدم وجود أية نية لتغير فعلي قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، ولا يعتبر إعلان الاستقلال عيد رسمي تعطل الدوائر الحكومية. وهذا الاستقلال كان امتداداً لمعاهدة 1936، ولكنَّ البرلمان الفرنسي رفض الموافقة عليها، وأعلن الجنرال الفرنسي (دانتز) بأن فرنسا لم تغفل مطلقـًا تطلعات الشعب السوري نحو استقلال بلاده، لكن فرنسا لم تستطع ولن تستطيع تحقيق ذلك ما لم تستقر الأوضاع في العالم. ولكن في العام 1941 تمكنت قوات الحلفاء من السيطرة على سوريا، وحلقت طائرات فرنسية تابعة لقوات فرنسا الحرة وألقت مناشير على السكان تقول فيها: (فرنسا بصوت أبنائها تعلن استقلالكم).

وفي 20 تموز 1941 عقد المندوب السامي الجنرال (كاترو) اجتماعـًا مع الطبقة السياسية السورية في مدرج جامعة دمشق أعلن فيه (رأينا أن الوقت قد حان لنضع بالاتفاق معكم نهاية الانتداب الفرنسي، ونتفاوض في الشروط التي تحقق سيادتكم التامة واستقلالكم الناجز. وفي 12 أيلول أُعيد العمل بالدستور (1930)، واختُيرَ (تاج الدين الحسني) رئيسـًا للجمهورية حتى تسمح الظروف بإجراء الانتخابات.

وفي 28 أيلول 1941 أُعلن الاستقلال في دار البلدية في ساحة المرجة بحضور أعضاء الحكومة ورؤساء الطوائف، وقَّع الجنرال كاترو مع رئيس الجمهورية على إعلان الاستقلال الذي خُتِمَ بعبارة "فلتحيا سوريا المستقلة، فلتحيا فرنسا". وقد اعتبر ذلك مناورة فرنسية، وحذر (ونستون تشرشل) (ديغول) بأن موقفـًا كهذا يضر بمصالح فرنسا وقوات الحلفاء في الحرب. وكانت بريطانيا ومصر أول الدول التي اعترفت بالدول السورية بالدولة السورية المستقلة، ولم يبادر العراق لذلك. ولذلك يعتبر الكثيرون أن (8) آذار هو عيد الاستقلال 1920، والجلاء كعيد في 17 نيسان 1946.

ولعل الاحتجاجات السورية1945والتي تُعرَف ُبانتفاضة الاستقلال، وهي مظاهرات عمَّت دمشق والمدن السورية، وحدثت صدامات مع سلطة الانتداب، وتطورت في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الثانية 1945، إلى أن قامت القوات الفرنسية بقصف دمشق بالمدفعية الثقيلة واحتلال مبنى البرلمان، وعندها تدخل (ونستون تشرشل) لوقف هذا العدوان وعودة القوات الفرنسية إلى الثكنات خارج المدن، وبداية

المفاوضات الثلاثية التي أدَّت إلى إجلاء القوات الفرنسية عن سوريا، وزوال الانتداب نهائيًا في 17 نيسان 1946، ودخول الجيش البريطاني لتنفيذ الاتفاق واستقالة الحكومة، وقد بلغ عدد المشاركين 10.000 مواطن في دمشق في هذه الانتفاضة، والخسائر من السوريين 36 جنديًا من حراس البرلمان، ونحو (1000) سوري مدني بين قتيل وجريح، و35 جنديًا سنغاليًا فرنسيًا. وأدت هذه الانتفاضة إلى مطالبة الشباب السوري بتشكيل "جيش تحرير وطني"، والدعوة لسحب الأموال من البنوك الفرنسية، وحث الأهالي على عدم إرسال الأولاد للمدارس الفرنسية، كما رُجمت السيارات الفرنسية، وأعلنت الدول العربية الإضراب لمدة 24 ساعة تضامنًا مع سوريا، وتم عقد قمة لجامعة الدول العربية، واعتبرت هذه الاحتجاجات أول هزة لصورة الجنرال (ديغول) السياسية. وأُعلن تأسيس الجيش السوري في (1آب)، وتم اعتبار الجنرال (بينيت ونائبه أوليفا روجيه) ممثلي فرنسا في دمشق "مجرمي حرب". لكن الحكومة السورية لم تتمكن من محاكمتهم، وقد تلاعب الفرنسيون كثيراً في موضوع الاستقلال السوري: حيث طلب الجنرال (بينيت) من الحكومة السورية التوقيع على ثلاث اتفاقيات هي:

1. ضمان استقلالية المنشآت الثقافية الفرنسية.
2. صيانة مصالح فرنسا الاقتصادية.
3. تأسيس قواعد جوية وبحرية على الأراضي السورية.

لكن الحكومة السورية واللبنانية رفضتا هذه الشروط، ورفض البرلمان السوري في 26 أيار 1945 هذه الاتفاقيات. وفي أعقاب جلسة البرلمان هذه انطلقت مظاهرات حاشدة معادية للانتداب والتأكيد على الاستقلال. وتكررت في 27 أيار طلاب الجامعة السورية والمدارس، وتخللت تلك المظاهرات أعمال عدائية للمظاهر الفرنسية، ونزع اللافتات المكتوبة باللغة الفرنسية، وحرق الكتب الفرنسية.

وفي 28 أيار: تم حرق عدد من الآليات والمكاتب الفرنسية، وسحبت فرنسا موظفيها إلى أماكن آمنة محددة في دمشق القديمة، في حين كانت دمشق والمدن السورية تنتفض عن بكرة أبيها.

وقام الجيش الفرنسي والسنغاليون بإطلاق النار على الناس، الأمر الذي اضطر رئيس شكري القوتلي وعدد من الوزراء الانتقال إلى قصر خالد العظم في سوق ساروجة، في حين غادر سعد الله الجابري إلى بيروت بسيارة بطريرك روسيا الذي كان يزور دمشق. بينما كان فارس الخوري رئيس وزراء في زيارة رسمية للولايات المتحدة الأمريكية، وبعد ثلاثة أيام من القصف الفرنسي: قام الجنرال (باجيت) القائد العام للقوات البريطانية في سوريا ولبنان يرافقه وزير الدولة البريطانية (آلن شو) بزيارة دمشق ولقاء الرئيس (القوتلي)، وأبلغه دعم الحكومة البريطانية للشعب السوري، وجرت اتصالات بين بريطانيا وفرنسا، وتم إجبار فرنسا على وقف القصف والانسحاب والتجمع تحت حماية الجيش البريطاني، واضطر المندوب الفرنسي

لمغادرة دمشق تحت تهديد التدخل العسكري البريطاني، وأبرق (ونستون تشرشل) إلى شارل ديغول بوجوب الحفاظ على أمن الشرق الأوسط.

وحدثت اضطرابات في المدن السورية الأخرى، ولولا التدخل البريطاني كانت القوات الفرنسية تشنُّ حرب إبادة ضد السوريين ولا تريد أن ترحل.

(3) لقد كان أفضل رئيس سوري في عهد الانتداب الفرنسي هو السياسي والدبلوماسي السوري (محمد علي العابد) 1867، ولد في دمشق، واستلم الرئاسة بين 11 حزيران 1932 إلى 21 كانون الأول 1936. وهو أول رئيس للجمهورية منتخب، وكان رئيس الوزراء في عهده على التوالي حقي العظم، وتاج الدين الحسني، وعطا الأيوبي، وهاشم الأتاسي. والعابد يمثل الأرستقراطية الدمشقية، وكان متقدمًا في العمر حينما تم انتخابه رئيسًا كان بحدود السبعين عامًا، وكان مواليًا للانتذاب من ناحية الوطنية وللكتلة الوطنية من ناحية أخرى، وهو ما ساهم بوصوله إلى الرئاسة في 13 حزيران1932، وكان أول من حمل لقب رئيس الجمهورية في سوريا ومن سبقوه كان تسميتهم (رؤساء دولة). والفرق كبير لأنهم لم يكن لديهم دستور يتبنى النظام الجمهوري وولاية الرئيس العابد كانت لمدة خمس سنوات، وكان يجيد اللغة العربية، والتركية، والفرنسية، والإنجليزية والفارسية، وعرف عنه ولعه في الأدب الفرنسي وبالعلوم الاقتصادية. وهو يعود بنسبه لقبيلة الموالي -وهي إحدى قبائل سوريا التي استوطنتها إبَّان العهد العباسي- وجده هو

(هولو العابد)، وكان محمد علي العابد أغنى رجلٍ سوريٍّ على الإطلاق في عصره، وتوجد في دمشق في منطقة المرجة بناية كبيرة ذات طوابق عديدة هي بناية العابد نسبة له. وفي الجلسة التي قُبِلَت استقالته تم انتخاب هاشم الأتاسي رئيسًا، والسيد محمد العابد غادر إلى باريس خوفًا من الاغتيال، وتوفي في 22 تشرين الأول 1939 إثر نوبة قلبية، ونقل جثمانه ودفن في دمشق. ويوجد شارع في دمشق باسمه بالقرب من شارع الحمرا. وتميزت فترة حكم العابد، بالهدوء وفي عهده بدأ بروز (الكتلة الوطنية السورية) التي بدأت تتقدم على حزب الشعب الذي أسسه الدكتور عبد الرحمن الشهبندر.

المراجع: 1_ 1939 Newyork Herlad Tri bune

2_ يوسف الحكيم (عن شخصية الرئيس محمد علي العابد) سوريا والانتداب الفرنسي – دار النهار – بيروت 1983.

3_ الموسوعة العربية 23آب.

ثامن عشر:

أسماء المسؤولين والمفوضين الفرنسيين ورؤساء الجمهورية والوزارات:

1_ وقد جاء هاشم الأتاسي رئيسًا للجمهورية بعد محمد علي العابد (1875 تولد، والوفاة 1960) (الكتلة الوطنية).

2_ ثم بهيج الخطيب (تولد 1895، والوفاة 1981) (مستقل).

3_ صبحي بركات (تولد 1883، توفي في 1939، حكم من 28 حزيران 1922 إلى كانون الأول 1925).

4_ فرنسوا أليب (مؤقت) (من 9 شباط 1926 إلى 28 نيسان 1926) (مستقل).

5_ أحمد نامي (28 نيسان 1926 إلى شباط 1928) (مستقل).

6_ تاج الدين الحسني (مؤقت) (من شباط إلى 14 أيار 1930) (مستقل).

7_ ليون سلومياك (مؤقت) (من تشرين 1931 إلى حزيران 1932) (مستقل).

8_ محمد علي العابد (تم ذكره سابقًا).

9_ خالد العظم (مؤقت) (16 أيلول 1941 إلى 17 كانون الثاني 1943) (مستقل).

10_ جميل الألشي (مؤقت) (من كانون الثاني 1943 إلى 25آذار 1943).

11_ عطا الأيوبي (من 25 آذار 1943 إلى 17 آب 1943).

12_ شكري القوتلي (تولد 1891، توفي في 1967)، حكم من 17 آب 1940 إلى 17 نيسان 1946 (الكتلة الوطنية - الحزب الوطني)، وقد انقلب عليه رئيس الأركان آنذاك الزعيم حسني الزعيم، وبدأت سلسلة الانقلابات.

13_ حسني الزعيم (30 آذار 1949 إلى 14 آب 1949)، وتم الانقلاب عليه.

14_ سامي الحناوي (مؤقت) (14 آب 1949 إلى 15 آب 1949) (يوم واحد) (عسكري).

15_ هاشم الأتاسي (15آب 1949 إلى كانون الأول 1951)، وهو رئيس منتخب (الحزب الوطني).

16_ أديب الشيشكلي (مؤقت) (كانون الأول 1951 إلى كانون الأول 1951) (يوم واحد) (عسكري، ميوله للحزب القومي السوري).

17_ فوزي سلو (3 كانون الأول إلى 11 تموز 1953) (عسكري)، ثم انقلب عليه الشيشكلي.

18_ عودة أديب الشيشكلي (في 11 تموز 1953 إلى 28 شباط 1954) حيث تنحى بعد الانقلاب عليه.

19_ عودة الرئيس هاشم الأتاسي المنتخب ليكمل مدة رئاسته (28 شباط إلى 6 أيلول 1955).

20_ وقد تم انتخاب الرئيس شكري القوتلي (6 أيلول إلى 22 شباط 1958) (الحزب الوطني).

21_ جمال عبد الناصر (من 22 شباط 1958إلى 28 أيلول 1961).

22_ مأمون الكزبري (مؤقت) (29 أيلول إلى 20 تشرين الثاني 1961) (مستقل).

23_ الدكتور عزت النص (مؤقت) (تشرين الثاني 1961 إلى كانون الأول 1961).

24_ ناظم القدسي (من 14 كانون الأول 1961 إلى 8 آذار 1963) (حزب الشعب).

25_ لؤي الأتاسي (من 9 آذار 1963 إلى 27 تموز 1963) (عسكري).

26_ أمين الحافظ (من 27 تموز 1963 إلى 23 شباط 1966) (عسكري-بعثي).

27_ نور الدين الأتاسي (من 25 شباط 1966 إلى 16 تشرين الثاني 1970)(بعثي).

28_ أحمد الحسن الخطيب (مؤقت) (من 18 تشرين الثاني 1970 إلى 22 شباط 1971).

29_ حافظ الأسد (من 22 شباط 1971 إلى عام 2000) (بسبب الوفاة).

30_ بشار الأسد (من 2000 إلى الآن).

أي أن سوريا حُكمت من آل الأسد (حافظ وابنه حتى الآن) أكثر من 53 سنة.

(4) أما رؤساء الحكومات السابقة على إعلان الجلاء الفرنسي عن سوريا:

1_ حكومة الأمير سعيد الجزائري: من 27 أيلول 1918 إلى 30 أيلول 1918.

2_ حكومة رضا باشا الركابي: من 30 أيلول 1918 إلى 4 آب 1919.

3_ حكومة رضا باشا الركابي (مجلس المديرين): من 4 آب 1919 إلى 26 كانون الثاني 1920.

4_ حكومة الأمير زيد بن الحسين: من كانون الثاني 1920 إلى 8 آذار 1920.

5_ عودة حكومة رضا باشا الركابي: من 9 آذار 1920 إلى 3 أيار 1920.

6_ وزارة السيد علاء الدين الدروبي: من 25 تموز 1920 إلى 21 آب 1920 (وقد أُغتيل في حوران).

7_ وزارة السيد جميل الألشي: من 6 أيلول 1920 إلى 30 تشرين الثاني 1920.

8_ وزارة السيد حقي العظم: من 1 كانون الأول 1920 إلى 28 حزيران 1922.

9_ حكومة السيد صبحي بركات الخالدي: من 28 حزيران 1920 إلى 21 كانون الأول 1924.

10_ حكومة السيد صبحي بركات الخالد: من 21 كانون الأول إلى 1924 إلى 21 كانون الأول 1925.

11_ حكومة الداماداأحمد: من 4 أيار 1926 إلى 12 حزيران 1926.

12_ ثم التجديد لحكومة الداماداا: من 12 حزيران إلى 2 كانون الأول 1926.

13_ ثم التجديد لحكومة الداماد: من 2 كانون الأول 1926 إلى 8 شباط 1928.

14_ وزارة الشيخ تاج الدين الحسني: من 15شباط 1928 إلى 19 تشرين الثاني 1931.

15_ حكومة المسيو سولومياك: من 19 تشرين الثاني 1931 إلى 11 حزيران 1932.

16_ حكومة حقي بك العظم: من 15 حزيران 1932 إلى 17 آذار 1934.

17_ عودة الشيخ تاج الدين الحسني: من 17 آذار 1934 إلى 23 شباط 1936.

18_ وزارة عطا بك الأيوبي: من 23 شباط 1936 إلى 21 كانون الأول 1936. وفي عهده وُقِّعت اتفاقية الجلاء 1936 التي لم يوافق عليها البرلمان الفرنسي.

19_ حكومة السيد جميل مردم بك: 21 كانون الأول 1936 إلى 23 شباط 1939.

20_ وزارة السيد لطفي بك الحفار: من 23 شباط 1939 إلى 5 نيسان 1939.

21_ وزارة السيد نصوحي بك البخاري: من 5 نيسان 1939 إلى 15 أيار 1939.

22_ حكومة المديرين برئاسة بهيج الدين الخطيب (8 تموز 1939 إلى 1 نيسان 1941).

23_ حكومة خالد العظم: من 1 نيسان 1941 إلى 12 أيلول 1941.

24_ وزارة السيد حسن الحكيم: من 20 أيلول 1941 إلى 14 نيسان 1942.

25_ وزارة حسني بك البرازي: من 18 نيسان 1942 الى 8 كانون الثاني 1943.

26_ وزارة السيد جميل الألشي: من 8 كانون الأول 1943 إلى 25 آذار 1943.

27_ وزارة السيد محمد عطاء الأيوبي: من 25 آذار 1943 إلى 19 آب 1943.

28_ وزارة السيد سعد الله الجابري: من 19 آب 1943 إلى 14 تشرين الثاني 1944.

29_ حكومة السيد فارس الخوري: من 14 تشرين الثاني إلى نيسان 1945.

30_ يعود فارس الخوري لمرحلتين من: 7 نيسان 1945 إلى 30 أيلول 1945.

31_ يعود سعد الله الجابري لرئاسة الحكومة في عهد آخر الانتداب الفرنسي على سوريا: من 30 أيلول 1945 إلى 25 نيسان 1946 في عهد الجلاء.

32_ ثم تشكيل حكومة في عهد الجلاء (سعد الله الجابري): من 26 نيسان 1946 إلى 27 كانون الأول 1946.

33_ يأتي جميل مردم بك لتشكيل حكومة من 28 كانون الأول 1946 إلى تشرين الثاني 1947، ثم يُكَلَّف بتشكيل حكومة ثانية وحكومة ثالثة: من 23 آب 1948 إلى كانون الأول 1948.

34_ خالد العظم يشكل حكومة من 16 كانون الأول 1948 إلى 29 آذار 1949.

– بعد ذلك تبدأ مرحلة الانقلابات العسكرية: من 30 آذار 1949 إلى 1954. ويعود الرئيس الأتاسي لإكمال فترة انتخابه كرئيسٍ للجمهورية بعد انقطاع دام لنحو خمس سنواتٍ بعد تنحّي الرئيس أديب الشيشكلي عن الحكم؛ نتيجةً لتمرُّدٍ عسكريٍّ.

وخلال فترة الانقلابات: جيء بمجموعة كرؤساء للوزارات، منهم: ناظم القدسي، خالد العظم، حسن الحكيم، معروف الدواليبي، فوزي سلو، أديب الشيشكلي، صبري العسلي، وحكومة السيد سعيد الغزي التي كلفها الرئيس هاشم الأتاسي كوزارة للمستقلين للإعداد للانتخابات النيابية والرئاسة. ثم فارس الخوري، ثم صبري العسلي حتى قيام الوحدة السورية المصرية. وبعد ذلك العديد من رؤساء الوزارات في عهد البعث: من 1963 وحتى الآن. لا يستحقون المتابعة.

(5) قد يتسائل البعض كيف كان الانتداب؟ وكيف يتم تشكيل حكومات وتعيين رؤساء دولة؟ وانتخاب رئيس الجمهورية؟ وتشكيل حكومات وقَبول استقالتهم من قِبَلِ رئيس الدولة أو رئيس الجمهورية؟ لذلك لا بُدَّ من التوضيح: أنَّ الانتداب الفرنسي على سوريا يعني احتفاظ البلاد (باستقلالها الداخلي)، وتعاون سوريا مع فرنسا فيما يخص العلاقات الخارجية والمالية، وأن تُقيم سوريا سفراء لها في الخارج -ولكن ضمن سفارات الفرنسية- (وزير مفوض)، والاعتراف باستقلال سوريا ولبنان -ولكن تحت الوصاية الفرنسية الكاملة وبالحدود التي يعينها الحلفاء-. وقد كان القصد من إصدار قرارات الوصاية والانتداب؛ من أجل تطبيق قرارات ونصوص "سايكس بيكو 1916"، بمعنى: لا يريد الحلفاء أن تقوم دولةٌ للعرب في سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، ولأنهم يريدون -أيضًا- تطبيق "وعد بلفور" الصادر في 2 تشرين الثاني 1917؛ لإقامة وطنٍ لليهود في فلسطين. ولأنَّ المملكة

العربية السورية قد جمعت برلمان من (69) شخصاً يمثلون سوريا والأردن وفلسطين ولبنان وجزء من العراق، وهذه خطوط حمراء عند دول التحالف. فكما نكثوا بوعودهم إلى الشريف حسين -قائد الثورة العربية الكبرى- والموعود بإقامة مملكة عربية من جبال طوروس شمالاً حتى خليج عدن في الجنوب عند البحر العربي، ومن جبال زاغروس الفاصلة بين إيران والعراق شرقًا إلى البحر المتوسط والبحر الأحمر غربـًا. وقد دَأَبُوا على تقسيم البلاد العربية إلى درجة أن الاستعمار الفرنسي خطَّط لإقامة خمس دولٍ في سوريا الحالية، وأعطى في نهاية المطاف جزءاً كبيراً لليهود، وسمح بالهجرات اليهودية من كل بلاد الدنيا؛ لإقامة وطنٍ قوميٍّ لهم، وتشريد الشعب الفلسطيني. ولاحظنا كيف أنَّ الفرنسيين ماطلوا بتحقيق استقلال سوريا. ولولا ظروف ونتائج الحرب العالمية الثانية، واحتلال باريس من قِبَلِ الجيش النازي، وخضوع الفرنسيين لمشيئة البريطانيين: حيث أنَّ (الجنرال ديغول) شكَّل حكومته في لندن، وقد أخضعوه لشروطٍ قاسيةٍ وألزموه عنوةً على القبول باستقلال سوريا. وإلَّا كما حدث مع الجزائر التي استعمروها نحو 130 عامـًا، وكانوا يقولون أنَّ الجزائر جزءٌ من فرنسا، وأنَّ البحر المتوسط هو من عزل الجزائر عن فرنسا، وأنَّها أراضي فرنسية. وخاض الشعب الجزائري خلال الـ (130) عامـًا حروبـًا متتالية، وكان المستعمر يستطيع في كل ثورة السيطرة على الجزائر. ولكن بعد حرب السويس 1956، وتراجع الدولة الفرنسية ومعها بريطانيا إلى دولٍ من الدرجة الثانية،

وصمود الشعب الجزائري وإعلان الثورة المسلحة في تشرين الثاني 1954، وبدعمٍ ومساعدةٍ من مصر أولاً: حيث انطلقت الثورة من القاهرة وتونس وبلدان الوطن العربي. وأخيراً: وجد الجنرال ديغول أنْ ليس أمامه إلا التسليم باستقلال الجزائر بموجب اتفاقية "إيفيان" 1962.

على أنَّنا في سوريا: وجدنا الثورة المناطقية أولاً ضد المستعمر، ثم تشكيل الثورة السورية الكبرى 1925، واتحاد القوى المقاومة والتنسيق فيما بينها، ودعم الأردن والعشائر الأردنية لهذه الثورة، ووقوف مصر مع هذه الثورة، وبريطانيا في خاتمة المطاف. والدور المشهود للسياسيين السوريين المتعلمين والمثقفين والوطنيين الذين تابعوا النضال وانتزعوا الاستقلال، وتحقق الجلاء في 17 نيسان 1946، وبدأت مرحلة الحكم الوطني.

تاسع عشر:

في التحليل

مما تقدم يجدر بنا أن نسجل الملاحظات التالية:

1)- في ظل الانتداب الفرنسي الذي بدأ باحتلالٍ عسكريٍّ بعد الإنذار الذي وجَّهه الجنرال (هنري غورو) لحكومة المملكة السورية، ذي النقاط التالية في 14 تموز 1920:

(1) قبول الانتداب الفرنسي.

(2) التعامل بالنقد الورقي الذي يصدره مصلحة سوريا ولبنان في باريس.

(3) الموافقة على تمركز الجيش الفرنسي على طول الخط الحديدي الحجازي، وفي حمص وحماة وحلب.

(4) إيقاف عملية التجنيد الإجباري التي بدأتها حكومة فيصل بن الحسين (ملك سوريا).

أقول: برغم الانتداب الفرنسي، إلَّا أنَّ هذا الانتداب قد أوجد انتخابات ورؤساء دولة ورئيس جمهورية، وحكومات تشكَّلت خلال الفترة من 1920 إلى 1945 نحو أكثر من ثلاثين حكومة. كما سمحت بإيجاد دستورٍ للدولة السورية (دستور 1930) -وإن كان كل ذلك تحت السيطرة للمندوب السامي الفرنسي- وإقامة نظامٍ برلمانيٍّ رئاسيٍّ. وهذا يجعلنا نقارن بين ذاك الوضع في ظل الانتداب الفرنسي، وبين الأوضاع

بعد الثامن من آذار 1963، وكيف تحوَّلت العمليات الدستورية وما سُمِّيَ بالديمقراطية الشعبية إلى أُلعوبةٍ بيد طُغمةٍ من المتسلطين على الوطن والشعب، المراهقين سياسيـًا (لا علم ولا ثقافة، ولكن تسلُّط).

2)- أنَّ معظم تلك الحكومات في ظل الانتداب لم تُعمِّر طويلاً: بعضها لأشهرٍ وبعضها لسنواتٍ معدودةٍ. في الوقت الذي كانت الحكومات في عهد حافظ الأسد تُعمِّر لسنين طويلةٍ ومملةٍ. ومثلاً: حكومة عبد الرؤوف الكسم 7 سنوات، وحكومة محمود الزعبي من 1987 إلى 1999 (نحو 13).

3)- أنَّ رؤساء الدول ورؤساء الجمهورية في ظل الانتداب كانوا من المتعلمين والمثقفين ويتقنون أكثر من لغةٍ، ولديهم باعٌ طويلٌ في السياسة والاقتصاد والثقافة والقضايا الحقوقية. بعكس من جاء بهم حافظ الأسد من أنصاف المتعلمين وأشباه المثقفين (وإنْ كنَّا لا نُعمِّم).

4)- أنَّ التداول للسلطة كان واقعيـًا بين المستقلين والمنتمين سواء للكتلة الوطنية أو حزب الشعب والحزب الوطني، وهذه جديرةٌ بالاهتمام.

5)- بالرغم من قيام حركاتٍ ثوريةٍ مناطقيةٍ في سوريا، ابتداءً من 1920 وما بعدها، إلَّا أنَّنا لاحظنا أنَّ القوى التي شكَّلت الاتجاه الديمقراطي كانت من البرجوازية السورية وطبقة المتعلمين وأبناء العائلات المدينية (نسبةً للمدينة). فمثلاً: هاشم الأتاسي كان له دورٌ في حكومة المملكة العربية السورية، وهو رئيس مجلس الوزراء،

وهو ابن عائلة حمصيةٍ معروفةٍ، وكذلك جميل الألشي، وحقي العظم، ومحمد علي العابد، والشيخ تاج الدين الحسني... إلخ.

6)- لم نلحظ أياً من رجالات الثورة ما قبل الثورة السورية الكبرى وما بعدها يستلم أي منصب. وفي الحقيقة: أنَّ الثورة كانت من إعداد وتنفيذ الفلاحين في الأرياف، وهؤلاء كانوا على درجة من اليقين أنهم يُنفِّذون واجباتٍ وطنيةٍ وقوميةٍ، ولا يبغون أية مكاسب ماديةٍ، بل حتى ولا معنويةٍ، والأمثلة كثيرةٌ، مثلاً: ثورة الزوية وآل الشرع مع بداية الاحتلال، وثورة مصطفى الخليلي في حوران، وثورة جبل الزاوية (كفر تخاريم) وإقليم حارم، وثورة محمد العيَّاش في دير الزور، وحسن الخراط في الغوطة، وفوزي القاوقجي في حماة، وصالح العلي في الشيخ بدر، وثورة الدنداشة في تلكخ، وآخرين.

حتى قائد الثورة الباشا سلطان باشا الأطرش الذي عاد لسوريا في عام 1927، ويبدو أن هؤلاء الثوار لم يستطيعوا أن يتيهوا دلالاً وإكباراً على القادة السياسيين من أهل المدن الدمشقية والحلبية والحمصية والحموية، ولم يطرحوا أنفسهم على أنهم هم الأجدر بالوصول إلى السلطة؛ لأنهم يعرفون قدرهم، ويهمهم بالتالي أن تتحرَّر البلاد وتتخلص من المستعمر الأجنبي.

ووُجِّهت ضربةٌ نجلاء للخط الوطني والحكم الوطني، ودور البرجوازية في بناء المؤسسات الإنتاجية والاقتصادية السورية، ودشّنت مرحلة الانقلابات العسكرية

التي استمرت طويلاً وأضاعت على سوريا والشعب فرصًا كبيرةً لتحقيق الاستقلال التامِّ سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا. وقد اتضح أن هؤلاء الضباط كانت لهم ارتباطات بالأجانب، وبذلك لم يستطيعوا أن يستمروا؛ لأن ضباطًا آخرين وقفوا في الطابور لتنمية إشباع غرورهم، وهذا ما حدث.

لذلك رأينا أن الزعيم حسني الزعيم (1949) -وقد جاءت به المخابرات الأمريكية- انصب جهده على ما يلي:

1- توقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل 1949.

2- توقيع خطين لنقل البترول العراقي إلى موانئ على البحر المتوسط (بانياس السورية) وطرابلس اللبنانية (بالاتفاق مع شركة I.P.C البريطانية).

3- توقيع اتفاقية مع شركة (الأرامكو) لنقل النفط من (أبقيق في السعودية) إلى ميناء الزهراني قرب صيدا في لبنان على البحر المتوسط مروراً بالأردن وسوريا.

4- إقرار التجنيد الإجباري لكل الشباب السوريين من عام 1928 وما فوق.

5- تسليم زعيم الحزب القومي الاجتماعي إلى لبنان الذي لجأ إليه، ومن ثم إعدامه في اليوم التالي. وما تلا ذلك من حركاتٍ قام بها هذا الحزب: حيث اغتال (رياض الصلح) رئيس وزراء في عمان 1951، وكذلك اغتيال الملك عبد الله بن الحسين في المسجد الأقصى (وجُيِّرت ضدَّ شخصٍ فلسطينيٍّ).

6- ولم يُعمِّر في السلطة سوى 137 يومـًا، وسجن الرئيس القوتلي وكل الوجوه التي كانت أساسية في الحكم الوطني، وأغرت ضباطـًا آخرين للإجهاز على السلطة.

7- من المؤسف له أن هؤلاء السياسيين أصحاب المقامات الرفيعة كانوا يتآمرون على بعضهم بالتقرب والتمسُّح بالقوى الدولية آنذاك. ولعل اغتيال الدكتور (عبد الرحمن الشهبندر) الذي ربط بين السياسة والدبلوماسية والاتصال مع ثوار الجبل وثوار الغوطة: راح ضحية تآمرٍ من قِبَلِ أسماء رنانةٍ في وسط هؤلاء السياسيين، وقدم قضى أكثر من عشر سنوات في القاهرة، وتنقَّل في الأردن، وكان هو الذي أسَّس الكتلة الوطنية وترأَّسها، ومن ثم حزب الشعب. إلَّا أنَّ المنافسة على الزعامة أدَّت إلى تدبير عملية اغتيالٍ له من قِبَلِ ثلاثة أشخاصٍ: اثنان أُلقي القبض عليهم، والثالث هرب للعراق. ولتوضيح ذلك: (أرجو العودة إلى كتاب نصوح بابيل - نقيب الصحافة في سوريا في فترة الأربعينات والخمسينات). وقد اطلعت عليه حيث كان ينشره في مقالاتٍ موثقةٍ في جريدة الشرق الأوسط اللَّندنية في الثمانينات، وقد وجه الاتهام لأسماء هامة من القيادات السورية التي تبوَّأت مراكز ومقامات هامة في سوريا قبل الجلاء وبعده.

8- وهنا لا بُدَّ أن نعيد التأكيد على أن ظروف وشروط الأحداث في الحرب العالم الثانية جاءت لمصلحة سوريا في تحقيق الجلاء التام بلا قيد أو شرط -وقد ذكرته في غير مكان-.

9- وإذاً: كانت سوريا قد حصلت على جلاء القوات الفرنسية في 17 نيسان 1946، إلَّا أنَّ جيش الشرق الذي كان فرنسيًا، وكان فيه مجموعة من الضباط السوريين وغير السوريين من العرب والكرد والأرمن: قد هالهم قيام دولة العدو الصهيوني، وشعروا أنهم القوة الوحيدة التي يجب أن تحكم، وبالتالي أجهضت العملية الديموقراطية: فكان انقلاب الحناوي، وفوزي سلو، والشيشكلي -الذي هو مؤيد للحزب القومي السوري-، ثم الانقلاب عليه من قِبَلِ ضباطٍ من جماعة أكرم الحوراني في عام 1954، وتنحيته عن السلطة، ومغادرة سوريا إلى لبنان ثم البرازيل، إلى أن لَقِيَ حتفه على يد شاب درزي؛ ثأراً لما قام به في جبل الدروز.

ولو عُدنا إلى الثورة السورية في مناطق سوريا: نجد أنها توقفت بعد استشهاد الأشخاص الذين كانوا هم والمجموعات التي معهم رأس الحربة. فمثلاً: نجد أنَّ ثوار الزوية وحوران قد توقفوا عن مهاجمة المفارز الفرنسية التي كانت تعيث فساداً في هذه المناطق، وخاصة بعد وفاة قاسم عبد الرحمن الشرع، وعفاش السالم، ومحمد الخالد الشراع 1925 و1931. وبقي الأمر لقادة هذه الثورة التواصل مع العشائر الأردنية حيث كانوا يقيمون. أيضـًا: ثوار الغوطة بعد استشهاد (حسن الخراط 1925) لم نعد نسمع أية تحركات قتالية بعد عام 1925. واغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، ووفاة إبراهيم هنانو 1930، ومحاكمة الشيخ محمد العيَّاش من دير الزور ونفيه إلى جبله بعد الحكم عليه بعشرين سنة، وشنق من معه من

المجاهدين من عشيرته. وحتى في جبل العرب: بعد عودة الباشا إلى بلدته في (القريا) بالاتفاق مع المندوب السامي 1927. وتحولت القوة السياسية الناعمة بالوسائل الدبلوماسية من خلال السياسيين الذين مررنا على ذكرهم. حتى عندما قام الجيش الفرنسي بإحراق حيٍّ بأكمله في دمشق وسُمِّيَ (الحريقة) -وأصبح حيًّا تجاريًا فيما بعد-. وعندما هاجمت القوات الفرنسية حامية مجلس النواب في العام 1945 لم تتحرك القوى الثورية للدفاع عن هذه الأحداث. ومع ذلك، ليس معنى هذا أنَّ السوريين لم يدافعوا عن بلادهم ضد قوات الانتداب، ولكن لم تكن الثورة متكاملة وعامة، ولأن لجوء السياسيين الذين تسلموا قيادة البلاد بعد عام 1946 كانوا يحاولون تحقيق الجلاء بالطرق السياسية. لكنَّ العامل الحاسم في الجلاء هو من نتائج الحرب العالمية الثانية، والموقف البريطاني من انتداب فرنسا على سوريا ولبنان؛ لأن الفرنسيين لم يثبتوا جدارة في الحرب ضد هتلر والنازية واستسلمت باريس للجيش النازي، وهذا أثَّر كثيراً على الموقف الفرنسي. وتلاشي دور الحكومة الفرنسية ومجيء حكومة فيشي التي كانت أداةً طيِّعةً بيد البريطانيين، وتعاملهم القاسي مع الجنرال ديغول رئيس حكومة فرنسا الحرة، ودخوله باريس ليشكل الفرنسية الجديدة. نعم، تغيُّر الظروف وتغيُّر الأحوال، وحنكة السياسيين السوريين من أمثال: الرئيس فارس الخوري، وهاشم الأتاسي، وجميل مردم بك، والمحادثات

التي أجراها الرئيس شكري القوتلي مع ونستون تشرشل في السويس 1945، وضغطه لتحقيق الجلاء الفرنسي عن سوريا.

- إنَّ التحليل الموضوعي للجلاء عن سوريا يعطينا أنَّ الثوار في مناطقهم قد قاموا بواجبهم، ولكن الثورة بمعناها الشامل قيادة عسكرية وقيادة وعمليات لم تكن موجودة، وأنَّ العمليات التي قاموا بها كانت ذات طابعٍ فرديٍّ (وفزعة) في بعض المناطق، وأنَّ تضخيم المعارك وإسباغ الخيال -فيما بعد- عليها: كان بقصد رفع الروح المعنوية. وبالنتيجة: كان للدور البارز للقوى السياسية السورية الدور الأهم في عرض القضية السورية وتحقيق الجلاء التام، وأنَّ البريطانيين ليسوا أفضل من الفرنسيين، ولكن كانت لديهم نوايا برزت فيما بعد بتدعيم قوة العصابات الصهيونية، وتدفق المهاجرين اليهود، وقيام دولة للعدو تحت بصر وسمع البريطانيين.

عشرون:

سوريا في عهد الجلاء والحكم الوطني

تحقق الجلاء التام عن سوريا في 17 نيسان، وكانت هياكل الدولة قائمة: رئيس الجمهورية المنتخب (شكري القوتلي)، وحكومة السيد سعد الله الجابري قائمة، وهي تمثل مختلف التيارات السياسية القائمة من الكتلة الوطنية إلى الحزب الوطني إلى حزب الشعب، ومجلس نيابي منتخب. لكن الذي حدث: أُعيد العمل بدستور 1930، وأُجريت انتخابات نيابية أُعطيت كوتا للبدو، وتم انتخاب الرئيس القوتلي، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة السيد فارس الخوري، وأيضًا حكومة جمعت الواجهات المعروفة من المدن السورية، من: دمشق وحلب وحمص وحماة، وبدأت تتماهى مع الاتجاه الديمقراطي السائد في الغرب، مثل: حرية تأسيس الأحزاب، حرية الصحافة، الاتجاه الاقتصادي لسوق حرة وقطاع خاص. وفعلاً: نجحت البرجوازية في البدء، واستكمالاً لما كان بتأسيس الشركات محدودة المسؤولية، والشركات المساهمة، والشركات الفردية البسيطة، وابتدأت بقطع العلاقة التي كانت مع فرنسا، وخاصة في موضوع تأسيس بنك مركزي سوري وإصدار النقد بالليرة السورية. وكانت شركات هامة، مثل: (الشركة الخماسية) لخمسة أشخاص برأس مالٍ معروفٍ وتحديد نشاطها، وتكاملها مع قطاع زراعة القطن في الجزيرة، وتربية الأغنام -أيضًا- في الجزيرة للانتفاع بأصوافها، وشركة

للمغازل والمناسج وتكاملها مع الخماسية وغيرها، وشركة الدبس أيضـًا، وشركات لإنتاج المعكرونة والطحين، وحلق القطن، وصناعة الزيوت. وشجعت الصناعات الحرفية السورية التي كانت قائمة؛ لأنها تضم شريحة واسعة من الشعب. وكانت الحكومة السورية آنذاك تشجع التصدير والاستيراد، وتعمل على زيادة الصادرات من القمح وبعض المنتوجات الأخرى كالجلود، وأعطت قروضـًا من البنوك؛ لتوسيع الزراعة والصناعة والشركات. وهكذا: فقد تعزز دور الليرة السورية إلى درجة أنَّ كل دولارٍ أمريكيٍّ يساوي 1.5 ليرة سورية، وكانت تكاليف المعيشة معقولة. كان والدي يحدثني أنهم عندما ينزلون إلى دمشق: المبيت في الفندق أمام سوق الحميدية بـ 50 قرش سوري لليلة الواحدة، وتناول وجبة في المطعم بفرنكات -الفرنك السوري كان يساوي 5 قروش سورية، والليرة 100قرش سوري-، وحاجات كانت بسيطة وميسرة: النقل من المحافظات إلى المدن كان ميسراً، والنقل داخل دمشق ميسر؛ لأن عدد سكان سوريا في ذلك الوقت لا يتجاوز 2.5 مليون نسمة، ودمشق عدد سكانها لا يتجاوز 500 ألف نسمة، وكذلك حلب.

وبداية الخطوات لترسيخ الأوضاع الديموقراطية وعدم الاستئثار بالسلطة: ففي المجلس النيابي مؤيدين للحكومة من الإقطاعيين والتجار، ومعارضين من الاشتراكيين، وكان أبرزهم (أكرم الحوراني، ومن معه). لكن ما أن استتبَّ الأمر

للحكم الوطني الذي شغل معظم مناصبه من كانوا في عهد الانتداب، ومن المعارضين السياسيين له. لكن لن تجد واحداً من الذين قادوا المقاومة ضد الانتداب له دور. وانفرد السياسيون من دمشق وحلب وحمص وحماة بالسلطة في الوزارة في تعيين المحافظين -وكان المحافظ هو رأس المحافظة رئيس الجمهورية بها-. وبدأوا بتدعيم التعليم في الجامعات السورية التي أُسِّست في العام 1919، وإيجاد المدارس في مراكز المحافظات (إعدادية وثانوية)، وعدم تدخل الدولة في الدورة الاقتصادية سواء في الزراعة أو الصناعة أو الخدمات.

لكن هذه الدولة وتلك الحكومة حديثة العهد، داهمتها أحداث هامة، هي:

- تشكيل جيش وطني لحماية حدود البلاد.
- تشكيل قوات شرطية لحماية الأمن العام.

فكان أمامها ما تبقى من جيش الشرق الذي أسسته فرنسا – وهم ضباط سوريون كانوا يخدمون في ذلك الجيش-. فعملت على تشكيل رئاسة الأركان منهم -وكانوا في معظمهم من الأقليات الإثنية في سوريا-؛ لأن فرنسا كانت تعتمد عليهم. وطبعـًا أوجدت وزارة لدفاع الوطني، وسلسلة من الترتيبات العسكرية: فكنت تجد ضباطـًا من تونس ومن الجزائر العرب، ومن فلسطين ومن العراق داخل هذا البيت كانوا يخدمون جيش الشرق فضمُّوهم، ومن الكرد والأرمن والمسيحيين والعلويين والدروز.

وكان هذا لا ضير فيه لأن الوطن للجميع طالما هم سوريون ويخدمون في الجيش الوطني السوري. أما قوى الأمن: فقد كانت فرنسا تعتمد اعتماداً كبيراً على الشراكسة السوريين الذين هاجروا من بلاد القوقاز إبَّان الفترة القيصرية وجاؤوا لبلاد الشام ومصر تحديداً، فكان هؤلاء صوتـًا مسلطـًا ضد السوريين في زمن الانتداب الفرنسي. لذلك اتخذ المجلس النيابي بعد الاستقلال بمنع استخدام الإخوة الشركس في القوات المسلحة وقوات الأمن؛ نظراً لخدمتهم وإخلاصهم للدولة المنتدبة.

لكن ما أن جاء 1947 بعد الاستقلال مباشرة: حتى بدأت قوات (الهاغاناه) و(عصابات شتيرن) الصهيونية، بعملٍ مسلحٍ ضد الفلسطينيين، وهي قوات منظمة ومدربة، وتطمح لتحقيق النبوءات التوراتية ووعد بلفور بمساعدة الإنجليز، ولأن فلسطين جزء من سوريا الكبرى، فقد بدأت تنال اهتمام الدولة السورية الجديدة. وبدأ الشعب بالضغط باتجاه المواجهة مع هذه العصابات، فتحرك السوريون لنجدة إخوانهم الفلسطينيين، وجمعت جامعة الدول العربية سبعة جيوش عربية وأردفتها بجيش الإنقاذ، وعيَّنت البطل (فوزي القاوقجي) قائداً عامـًا لجيش الإنقاذ، وكانت الحكومة السورية من أكثر من عناها الأمر، وهكذا دفعت بما تيسر لديها من القوات المسلحة إلى فلسطين لمقاتلة القوات الصهيونية، فكانت حرب 1948، التي أبدى فيها جيش الإنقاذ بسالةً، وكذلك القوات السورية، والقوات العراقية، والقوات

المصرية، والقوات الأردنية، وقد أظهر الضابط الشركسي (إحسان كم ألماز) بطولة واستبسالاً، الأمر الذي جعل مجلس النواب يعيد الثقة بالشركس ثانية، وكانت في محلها. وكان أديب الشيشكلي يقود كتيبة من القوات السورية والمجاهدين في فلسطين، وكان معهم متطوعون من حزب البعث (أكرم الحوراني، جلال السيد) الدكتور عبد السلام العجيلي، جمال الأتاسي، ومصطفى حمدون، وعبد الغني قنوت، وآخرين.

وقد اقترح الغرب هدنة، وهذه الهدنة عملت على تعزيز موقف العصابات الصهيونية: فانتهت هذه الحرب 1948 بما يسمى "بالنكبة": حيث قامت دولة إسرائيل، وتم تشريد 700 ألف فلسطيني –آنذاك– إلى الدول العربية: سوريا، لبنان، الأردن.

لقد واجه الحكم الوطني الجديد في سوريا صعوباتٍ كان أهمها: قيام دولةٍ لليهود في فلسطين تحقيقاً لوعد وزير خارجية بريطانيا (ديفيد بلفور) 1917، وبدأ اللوم ينصب على هذه الحكومة والدولة السورية من قِبَلِ القوى المعارضة، ومن قِبَلِ قيادة الجيش التي كانت آنذاك. بالإضافة لسياسة التمييز الواضحة بين المدن السورية والأرياف: فالاهتمام بالمدن الرئيسية وخاصة دمشق وحلب: أخذ من وقت الدولة الجديدة الكثير من الجهد والمال، فأُقيمت الشركات والمصانع في هذه المدن، والشوارع والحدائق، ودور الحكومة في هذه المدن، والعمل كان لسكان هذه

المدن، وتوزيع الغنائم والمناصب لأهل هذه المدن. فقد كنت تجد شخصًا مؤهله العلمي متوسط: يُعيَّنُ محافظًا، أو مديراً عامًا، أو أمينًا عامًا في وزارة، وأبناء الريف ممن يحملون مؤهلات جامعية -على قِلَّتهم- يوضعون في وظائف عاديةٍ جداً. والقضاة من أبناء المدن، ورؤساء المخافر من أبناء المدن، ورؤساء القائمقاميات من أبناء المدن، حتى مدراء النواحي. كل ذلك شكَّل إحباطًا لدى المواطنين -وخاصة من ثوار المناطق- على هذا التجاهل لدورهم. فمثلاً: سلطان باشا الأطرش -وهو قائد الثورة السورية الكبرى- احتفظ بلقب القائد العام للثورة السورية الكبرى ولم يعرض له منصب يليق به، وكذلك إخوانه المجاهدون، وآخرين في المحافظات: فأحمد مريود قرَّر الهجرة للعراق من الأردن، وطالب الشرع وعكاش السالم عادوا لقراهم ولم يتذكرهم أحد، وكذلك أهالي كفرتخاريم، وحارم، وجبل الزاوية، وثوار الغوطة رفاق حسن الخراط والشيخ محمد الأشمر من الميدان، والشيخ محمد العيَّاش وعشيرته من دار الزور والمنطقة الشرقية في الجزيرة السورية. كل هؤلاء ليس لهم أي ذكر، وتم طمس نضالاتهم. ولاحظنا بقاء ذكر أحمد مريود؛ لأن ابنه (حسين) كان نائبًا عن منطقة القنيطرة لعدة دورات انتخابية، وابنه الثاني (الدكتور حسان) كان أستاذاً في الجامعة السورية، وقد أُختير في زمن البعث وزيراً للخارجية، وهؤلاء الأبناء هم من وضع أحمد مريود في الذاكرة، وإلَّا كان شأنه كشأن الآخرين، والأمير محمود الفاعور شيخ عشيرة الفضل

الكبيرة في الجولان، والذي كان له دورٌ هامٌّ في مقاومة المحتل الفرنسي، ولم يُذكر عنه شيء في الحديث عن الثورة السورية 1920 – 1945.

– وقد كان الشيخ طالب الشرع اعتاد أن يزور بين الفينة والأخرى دمشق، حيث غرفةً له محجوزة على حسابه في فندق أبي الفداء مواجهة سوق الحميدية، وبقيت هذه الغرفة على اسمه لسنواتٍ حتى توفاه الله. يذهب إلى دمشق وينزل فيها عند صديقه صاحب الفندق –وهو من حماة– ولذلك سمي الفندق (أبو الفداء). وكانت هذه الغرفة مقرّاً ومنامةً للشيخ وأولاده –أحيانـًا– حينما ينزلوا إلى دمشق. وفي العام 1947 بعد الاستقلال بعامٍ واحدٍ: تصادف وجود الشيخ طالب الشرع مع صديقه ونسيبه الشيخ عكاش السالم في دمشق، فأشار عكاش على طالب أن يذهبا لمحل (أبو عبدو العشي) وكان هذا بمثابة صديق ورفيق للرئيس شكري القوتلي قبل أن يكون رئيسـًا، وبعد الرئاسة، وكان هذا الشخص (أبو عبد الله العشي) مع الثوار السوريين في الأردن، وهو يعرف علاقة الشيخين: طالب وعكاش (بشكري بيك القوتلي)، حيث كان يجتمع بهم في الأردن، وكذلك مع بعض المجاهدين، ولشكري بيك علاقة خاصة مع الشيخين. وبعد الاستقلال افتتح (أبو عبدو العشي) محلاً في شارع جمال باشا الذي تم تغيير اسمه –بعد الجلاء وخروج العثمانيين– إلى شارع النصر: وهو شارع مهم ويتصل بنهايته مع بداية سوق الحميدية، ويقع فيه مبنى عين الفيجة، وجامع (دنكز) المشهور، والقصر العدلي، وبناء الطابو.

و(أبو عبدو العشي) افتتح في هذا الشارع محلاً لبيع الأسلحة مرخص من الحكومة السورية. فأشار عكاش على طالب الشرع أن يزورا أبو عبدو العشي في محله، وهذا ما حدث، فاستقبلهم أبو عبدو العشي، وقال لهما: أين أنتم يا مشايخ؟ إنَّ الرأيس شكري يسألني دائمًا عنكما وعن أقربائكم. فسألا الشيخان: وهل ما زال يتذكرنا؟ لقد أصبح الرئيس للجمهورية ومشاغله كثيرةٌ، ونحن مشتاقون لرؤيته والسلام عليه، فقال أبو عبدو العشي: شكري بيك الآن في بلودان، سأتصل به لأخبره أنكم تَودُّون السلام عليه، وهذا ما حدث. رحب الرئيس بهما، وركبا السيارة مع أبو عبدو العشي وذهبا إلى فندق بلودان حيث يقيم الرئيس شكري القوتلي، وبعد وصولهم استقبلهم موظف التشريفات، ودلف أبو عبدو العشي إلى مكتب الرئيس، وبعدئذٍ دخلوا عليه فسلموا، واستقبلهم بكل ترحابٍ، وبدأوا يتذكرون أيام الهجرة إلى الأردن، وهنَّأوا فخامة الرئيس بالرئاسة ودعو له بالتوفيق. وكان طبيعيًا أن يسألهم عن أحوالهم بعد أن صدر العفو من قِبَلِ الفرنسيين، وعادوا لقراهم في جيبين والعال في منطقة الزوية، والرئيس يعرف هذه المنطقة جيداً، حيث فيها موقع الحمه الذي يرتاده الناس، فيه أجمل الحمامات المعدنية. فطمأنوه أن أحوالهم جيدة، وحمدوا الله تعالى. والرئيس القوتلي شخصية ودوده ويقدِّر الرجال، فأشار على الشيخين أن يمنحهما أرضًا في منطقة المزة، وكانت في ذلك الوقت بعيدةً عن دمشق بمسافة لأنها كانت قرية يعيش سكانها على الزراعة وبيع المحاصيل لأسواق دمشق. لكن

الشيخان قالا للرئيس: نحن ملّاكي أراضي واسعة في قُرانا، فما بالنا بأرضٍ في المزة البعيدة عنا. أيضـًا اقترح عليهما أن يعطيهما رخصة احتكار استيراد السكر والشاي لمدة عام، لكن الشيخان لا عهد لهم بالتجارة والاستيراد والتصدير، ولا يعتبران أن زيارتهم للرئيس لمكافأتهم، فاعتذرا وشكرا فخامة الرئيس، وانصرفا. والشيء الذي كان قد تحقق لهما هو: قبول ولدين للشيخ طالب الشرع في سلك الدرك، وولد واحد للشيخ عكاش، لكن ذلك قد تحقق قبل العام 1945، ولم يكن للرئيس دورٌ في ذلك. فقد كان عبد الكريم بن طالب الشرع دركيًّا منذ العام 1937، وعبد العزيز بن طالب الشرع أيضـًا دركي في العام 1945. وأما ابن عكاش السالم واسمه عبد المجيد: فقد كان دركيـًا في دفعة عبد الكريم الطالب، لكن عبد المجيد أُصيب بمرضٍ نفسيٍّ وتم تسريحه، وتحول بعد وفاة والديه إلى درويشٍ هائمٍ على وجهه، وقد أنجب بنتـًا واحدةً وكانت تهتم به، وكثيراً ما كان يأتي إلى بيت جده طالب الشرع وبيتنا (وأنا أتذكره) وكان ساكتـًا لا يتكلم ولا يؤذي أحداً. أما عبد الكريم فقد استمر في سلك الدَّرَك السوري حتى تقاعده، بعد خدمة أكثر من عشرين عامـًا. أما عبد العزيز بن طالب الشرع فقد كان دركيًّا مع حامية المجلس النيابي حينما قصفته القوات الفرنسية وقتلت العديد من حامية الدرك السوريين، ونجا عبد العزيز بأعجوبةٍ، فألحَّ على والده أن يسعى له بالتسريح وهذا ما حدث.

ونسجِّل هنا هذه الالتفاتة من الرئيس القوتلي، والموقف الذي أبدياه هذان الشيخان، لأنهما اعتبرا أن الرئيس يريد تقديم مكافأةٍ لهما على نضالهم هم وأقاربهم. ولكن هؤلاء الثوار لا يرجون إلَّا رضا الله ورضاهم عن أنفسهم، وكذلك الآخرين من مختلف المناطق السورية، ولنا في سلطان باشا الأطرش خير دليل. ما قدمه هؤلاء كان فخراً لكل البلاد السورية، ولكن الذاكرة الجمعية للأمة بفعل الإهمال والطمع في السلطة قد حرم ذكرهم، والسبب الآخر هو ما حدث لشعب فلسطين في 1948، وفي العام 1949، حيث الانقلابات العسكرية، ووقف الحكم الوطني الديمقراطي في سوريا، وبداية نشوء الأحزاب الساعية للسلطة بأيِّ شكلٍ وتحت أيِّ مسمًّى، وللتجاهل لمسيرة المجاهدين في الزوية وغيرها من المناطق. حدث في العام 1975 أن أصدر الرئيس حافظ الأسد مرسوماً أورد فيه أسماء من عائلات في كل المحافظات السورية لتكريم ذكراهم وتقديم مكافآتٍ ماديةٍ لورثتهم (رواتب بسيطة)، وكنت (أنا) مؤلف هذا الكتاب عضواً في مجلس محافظة القنيطرة، وحينما اطلعت على أسماء من تم ذكرهم في محافظتي درعا والقنيطرة: لم أجد أية إشارة لأهلنا الثوار، ولا أسماء لأسرة عكاش السالم وعبد الكريم الطحان النعيمي، وإنَّما وجدت أسماء لأشخاص كانوا في خدمة المحتل، وليس لهم علاقة لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ برجالات الثورة الذين ضحوا بالغالي والنفيس، وتشردوا، منهم من فقد حياته وتعرض للتعذيب والتخريب للأرزاق والأنفس. فكتبت كتاباً

موجهـًا للرئاسة السورية مُفَنِّداً فيه دور ثوار الزوية وحوران في التصدي للعدو المحتل الفرنسي، ومكوث أهالينا وأهالي الزوية وحوران في الأردن لعشر سنوات، وأن من عائلتنا آل الشرع من صدرت بحقه أحكام إعدامٍ، وهم (طالب الشرع، قاسم عبد الرحمن الشرع، محمد خالد الشرع، هلال السويدان الشرع، خليل عبد الوالي الشرع، حسين أحمد الحسين الشرع)، وكذلك عكاش السالم وأخيه عفاش السالم، وعلى عبد الكريم الطحان النعيمي وأخيه محمود الطحان النعيمي، وآخرين. ورفعت هذا الخطاب عن طريق المحافظ السيد (نايف نوفل) رحمه الله، ولم أتلقَّ أي جوابٍ مع الأسف. وأنا قرأت أحكام الإعدام بحقِّ جدِّي قاسم عبد الرحمن الشرع، وجدِّي محمد خالد الشرع، وكانت محفوظة عندنا، وأنا كنت في الصف الخامس، وراحت مع دارنا مع الاحتلال الإسرائيلي للمنطقة.

- إنَّ الذاكرة الوطنية يجب أن تعيد الاعتبار لكل الثورات في مناطق سوريا ضد المحتل الفرنسي؛ لأن أجيال الأمة يجب أن تعرف أن هذا الوطن لم يكن بلا رجالٍ يدافعون عنه ويقاتلون، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ذاق الأمرَّين مع المحتل أيًّا كان نوعه (محتل خارجي أو داخلي). ولذلك كان السوريون دائمـًا مع وطنهم الذي حرَّروه بإمكانياتٍ متواضعةٍ، وكانت كل المناطق السورية مشاركة في هذا التوجه السوري للتخلص من الاحتلال الفرنسي أو غيره. وظل السوريون مخلصون لوحدة بلاد الشام ووحدة الساحات، فقد وقف الأردن بعشائره سنداً ودعمـًا للثوار

السوريين، وفتحوا بيوتهم لهم، بل إن الكثير من شباب الأردن آنذاك شاركوا في مهامٍ قتاليةٍ مع المجاهدين السوريين الذين كانوا ينطلقون من البلدات الأردنية المحاذية لسوريا، وخاصة في منطقة وادي خالد المقابل لمنطقة الزوية، ووادي السرحان المقابل لمنطقة حوران وجبل العرب ومنطقة الأزرق، حيث كان هناك سلطان باشا الأطرش ورجاله. لقد استقبل الشيخ سطام الطيار -شيخ قبيلة ولد علي من عنزه- سلطان الأطرش وأقام في ضيافته لستة أشهر. وفي فلسطين: انخرط الكثير من السوريين في الدفاع عن أرض فلسطين زمن الانتداب البريطاني. ولعلنا نذكر هنا الشيخ عز الدين القسام -وهو ابن جبلة السورية- حيث قاد ثورة 1936 ضد الوجود البريطاني كتفاً إلى كتفٍ مع أبناء فلسطين والقدس، واستشهد.

وفي حرب الإنقاذ: خاض جيش الإنقاذ بقيادة البطل (فوزي القاوقجي) حيث كان معظم هذا الجيش من السوريين والأردنيين والعراقيين، وقد قاتل السوريون كمتطوعون مع رشيد عالي الكيلاني في العراق 1941 ضد الوجود البريطاني، وأعدادهم كبيرة، نذكر منهم: أكرم الحوراني، وعبد السلام العجيلي، وجلال السيد، ومصطفى حمدون، وعبد الغني قنوت، وجمال الأتاسي، وعبد الكريم زهور، وآخرين.

ونحن إذ نُذكِّرُ بذلك؛ ليبقى راسخاً في عقول الأجيال المتعاقبة: أن السوريين دائماً كانوا مع الأحرار. الثورة الفلسطينية التي انطلقت 1965: كان فيها العديد من

السوريين والأردنيين والفلسطينيين واللبنانيين والعراقيين ومن الكويت، قاتلوا في الأغوار إلى جانب الثورة الفلسطينية. هذا التاريخ يجب ألّا ننساه مطلقًا، وحدة الساحات وفي كل المراحل التاريخية. وَعَوْد على بدء: كانت قرارات المؤتمر السوري الأول 1918 تضم بلاد الشام، وأعضاؤه من جميع البلاد الشامية، من: (سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، العراق).

ولكن ما حدث خلال الفترة الممتدة من 1920 وحتى الآن: هذه الهجمة الاستعمارية ضد وحدة الساحات، فقسّموا بلاد الشام، وزرعوا الكيان المغتصب في فلسطين، وأقاموا الحدود المصطنعة بين هذه البلدان، ونصَّبوا الحكام الذين يعرفونه. وعندما حاول بعض من هؤلاء شق عصا الطاعة: كان أمامهم شخصيات عسكرية ليست وطنية وليست من طينة هذا الشعب -وإن انتمت إليه- فحركتهم. وأخيراً: استولوا على البلاد والعباد، ولم يصنعوا دولة ولا مؤسسات؛ لأنَّ هذا خارج اهتماماتهم. وما حدث كان مهولاً: أن تتحول دولة مثل سوريا إلى مقاطعات يحكمها الغرباء، ويتحول 3/ 4 شعبها إلى لاجئين مشردين في الدول المجاورة وفي الآفاق، وتُدَمَّر حواضر هذا البلد، ويتحكم فيها بدعمٍ واضحٍ من إسرائيل ومن زرعها لتدمِّر بلداً من أجمل البلدان، وشعبًا من أنجح الشعوب حضارةً وثقافةً وتاريخًا وتضحيات. والثورة السورية التي قامت، لم تقم من فراغ: إنها امتداد لثورات السوريين منذ زمن بعيد وزمن قريب.

إذاً: مكتوب علينا أن نستمر في التصدي والكفاح؛ لأنّنا مُستهدَفون دائمـًا، والحلُّ هو في التجديد والاستمرار، وأُسُّ الصراع هو في دولة إسرائيل ومن يساندها (الغرب وأمريكا).

المصادر:

1)- من الذاكرة حسب ما ذكره لي أهلي من كبارٍ في السن وبعضهم كان مشاركًا، وقد شاهدت أحكام الإعدام (كانت موجودة عندنا في البيت في قريتنا المحتلة)، وآخرين من رجالات في منطقة الزوية بعد أن نشطنا نحن بعد عام 1962 كشبابٍ ضد السلطة الانفصالية واستئثار حزب البعث بالسلطة بعد عام 1963 وكانوا يُذكِّرونا بهذه الثورة.

2)- كتاب (رجالات الجولان وثوراتهم) للكاتب محمد محمود المفلح، صادر عام 2001 مطبوع، وكان عندي نسختين منه في البيت في دمشق.

3)- كتاب السيد محمود عبيدات (حول دعم الأردن للثورة السورية)، صادر في دمشق 2003 –وهو أردني– كان عضواً في القيادة القومية لحزب البعث في سوريا، وعاد للأردن وتوفي رحمه الله، وقد كتبت فصلاً في هذا الكتاب بناءً على طلبه. وقد كرمه أبناء أحمد مريود في جباتا الخشب.

4)- الويكيبيديا: منشورة عن الثورة السورية في عدة أماكن، ورجالات الجلاء.

5)- مركز دراسات قناة الجزيرة الفضائية.

6)- كتاب (أحداث الثورة السورية)، دار طلاس 2008.

7)- مذكرات سلطان باشا الأطرش، منشورة في الجرائد السورية.

8)- كتاب موجه إلى الرئيس حافظ الأسد ع/ ط محافظ القنيطرة (نايف نوفل). حينما أصدر مرسومًا لتكريم ذوي المجاهدين، وأهمل ثوار الزوية وغيرها، عندما

كنت عضواً في مجلس محافظة القنيطرة 1972 – 1976، وقد أهمل المجاهدين الحقيقيين.

9)- علي العبد الله -مقالات منشورة في جريدة المدن الالكترونية- بعنوان: دروس من الثورة السورية.

10)- منير الحمش (في مواجهة مخاطر التقسيم)، مقالة منشورة في سوريا (القيادة القومية).

11)- يوسف الحكيم (الانتداب الفرنسي 1920 – 1945) مكتبة النور بالإنجليزية، و(شخصية الرئيس محمد علي العابد) جريدة الأنوار البيروتية.

12)- نصوح بابيل -نقيب الصحابة في الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين- ومقالاته عن الاستقلال والجلاء (تم نشرها في كتاب).

13)- الموسوعة العربية 23 عام 1985.

14)- عن الويكيبيديا (أسماء الرؤساء، ورؤساء الوزارات في سوريا) 1920 وحتى الآن.

كتب منشورة للمؤلف:

1_ البترول العربي بين الإمبريالية والتنمية (الامتيازات التقليدية) 1973. صادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت).

2_ البترول والمال العربي في مركة التحرير والتنمية (1974 صادر عن الدار ذاتها أعلاه).

3_ تخطيط الصناعات البتروكيميائية في سوريا 1975 (أُطروحة).

4_ النفط ومستقبل التنمية في الوطن العربي، إصدار (دار العلوم) مدينة الرياض 1982.

5_ الاقتصاد السعودي ومستقبل التنمية، إصدار (دار العلوم) مدينة الرياض 1983.

6_ الاقتصاد السعودي في مرحلة بناء التجهيزات الأساسية (إصدار الجمعية السعودية للثقافة والفنون)، (الخطط الخمسية 1970 – 1985)، مدينة الرياض 1986.

7_ الأهمية الاقتصادية والتنمية للطرق والمواصلات (إصدار دار المالك) الرياض 1987.

8_ الأهمية الاقتصادية للموانئ في التنمية (إصدار دار المالك) الرياض 1987.

9_ أهمية الكهرباء في التنمية الشاملة (إصدار دار المالك) الرياض 1988.

10_ الأوبك (التحولات الكبرى والتحدي المستمر)، إصدار دار طلاس بدمشق 1988.

11_ الاقتصاد السوري (مكامن القوة ونقاط الضعف)، دمشق دار الأهالي 1998.

12_ القيامة السورية (في كيفية إعادة إعمار سوريا)، دار نقش للطباعة 2022.

13_ العبودية التاريخية ومنهجية الاستعباد في حكم سوريا، دار نقش للطباعة 2023.

14_ الشقة 43، دار نقش 2020.

15_ بغداد مدينتي، دار نقش 2021.

16_ بؤس النظام العربي، دار نقش 2020.

17_ الرؤوس الحامية (رواية سياسية واقتصادية واجتماعية)، دار نقش 2020.

18_ الأحزاب السياسية في البلاد العربية، دار نقش 2023.

19_ بالإضافة لعشرات المقالات المنشورة في الصحافة والمجلات في: بيروت – الرياض – دمشق.



لبنان
فلسطين
Al Qunaitera
سورية
الأردن